عماد الدين أحمد بن المشطوب
وأثر حركات عصيانه على سلاطين بني أيوب وملوكهم
(٥٩٠هـ-٦١٩هـ/ ١١٩٣م-١٢٢٢م)

محمود محمد الرويضي*

ملخـص

تتناول هذه الدراسة شخصية عماد الدين، أحمد بن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء، الذي ينحدر من قبيلة الأكراد الهكارية، وقد عرف بين أمراء عصره بابن المشطوب، وورث عن والده الأمير سيف الدين المشطوب مكانة مرموقة وسمعة جيدة بين ملوك البيت الأيوبي، جعلهم يقدرونه ويهابونه، ويعدونه واحدا منهم، ومن أكابر أمرائهم؛ لأنه أصبح بعد وفاة والده سيد قومه من الأكراد. وقد أقحم نفسه في خضم خلافات وانقسامات البيت الأيوبي بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م.

وكان ملوك بني أيوب يتقربون إليه لحاجتهم إلى عساكر الأكراد التي كانت تحت إمرته؛ لتثبيت ملكهم، وقد أدرك ابن المشطوب هذه الأهمية وبدأ يستغلها لتحقيق مصالحه الذاتية؛ فتولدت لديه نزعة العصيان والتمرد، وأصبح في ولائه على النقيض من والده في تفانيه وإخلاصه للدولة الأيوبي؛ إذ كان متقلب الولاء والانتماء، لا يعرف الإخلاص إلا للماك الذي يعمل معه، وتكون مدة إخلاصه ومداه مرتبطين بمقدار الفائدة التي تعود عليه من التبعية، الأمر الذي فسح المجال أمامه للعصيان والخروج عليهم ومحاربتهم في بلاد الشام ومصر والجزيرة الفراتية، وكان لحركات عصيانه الأثر في نشر الفوضى وعدم الاستقرار في الدولة الأيوبية، وتشجيع أمرائها على العصيان والاستقلال في إقطاعاتهم، ما أتاح للفرنج فرصة غزو الديار الإسلامية؛ غير أن عاقبة نزعته التمردية وعصيانه كانت القمع؛ إذ تأدب باقي الأمراء ممن سولت لهم أنفسهم عصيان الدولة الأيوبية.

الكلمات الدالة: حركات العصيان، ابن المشطوب، سلاطين بني أيوب وملوكهم.

- **عماد الدين أحمد بن المشطوب، ومكانة أسرته عند ملوك البيت الأيوبي**

ولادته ونسبه؛ أحمد بن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء بن عبد الله بن أبي الخليل بن مرزبان[١]

* قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة. تاريخ استلام البحث ٢٠٠٩/٣/٢٠م، تاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٩/٥/٢٦م.

(١) ابن خلكان، أحمد بن حمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، م١، ص١٨٠؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)، **الوافي بالوفيات**، ط٢، طبع باعتناء إحسان عباس، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٩٨٢م، ج٧، ص٢٢٥؛ الذهبي محمد بن أحمد(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) **العبر في خبر من غبر**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، الكويت، ١٩٤٨م، ج٤، ص١٦٧؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ج١، ص٣١٤.

 © ٢٠٠٩ عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الهكاري[٢]، كان يكنى بأبي العباس[٣] وأبي المحاسن[٤]، ولقب بعماد الدين[٥] كما لقب بنعمة[٦]. واشتهر بين أمراء عصره "بابن المشطوب"[٧]؛ والمشطوب لقب أطلق على والده لشطبة كانت في وجهه[٨]، وكان والده يعرف عند ملوك بني أيوب بالأمير سيف الدين أبي الحسن المشطوب[٩].

ويرى ابن خلكان(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) أن ولادة ابن المشطوب كانت تقديراً عام٥٧٥هـ/١١٧٩م معتمداً في ذلك على بعض الرسائل التي اطلع عليها للقاضي الفاضل[١٠]، وكان مضمونها رداً على رسالة بعثها الأمير سيف الدين المشطوب للناصر صلاح الدين الأيوبي، يبلغه بولادة ابنه عماد الدين بن المشطوب، وأن لديه زوجة أخرى حاملاً، فخط القاضي الفاضل جواباً بأمر من صلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م، ذكر فيه: "وصل كتاب الأمير دالاً على الخبر بالولدين، الحال على التوفيق، والسائر كتب الله سلامته في الطريق، فسررنا بالغُرةِ الطالعة من لثامها، وتوقعنا المسرة بالثمرة الباقية في أكمامها"[١١].

(٢) الهكاري، إحدى قبائل الأكراد التي كانت تستقر في ديار بكر من أعالي الجزيرة الفراتية، ولهم فيها قلاع محصنة، وجولات مع الأمير عماد الدين زنكي لإخضاع قلاعهم لسيادته، لنظر ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، تحقيق عبد القادر أحمد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣، ص٤٨؛ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٢٦م) كتاب **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، وسيشار إليه فيما بعد بالروضتين، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ج١، ص٧٩؛ ابن العديم، عمر بن أحمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط١، دمشق، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٥٤؛ ابن واصل، محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، جامعة فؤاد الأول، مصر، ١٩٥٣م، ج١، ص٥٥-٥٦.

(٣) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥.

(٤) اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٤، ص٣٥.

(٥) ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمد يوسف، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١٠، ص٣٧٦؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠.

(٦) اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥.

(٧) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٧، ص٣٧٦؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥. اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥. ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م) **تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك)** تحقيق حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٧٠م، م٥، ج١، ص٢٤٨؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤.

(٨) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٤٩؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨.

(٩) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤.

(١٠) القاضي الفاضل: عبد الرحمن بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد، ولد في بيسان عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م) ونشأ في مصر، عمل في صناعة الإنشاء، توفي عام (٥٩٦هـ/١١٩٩م)، سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٥١م، ج٨، ق٢، ص٤٧٢-٤٧٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٢٧٨.

(١١) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٢؛ لنظر الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٦.

وقد أغفل ابن خلكان والمصادر الإسلامية مكان ولادة ابن المشطوب، والراجح أنها كانت في ثغر شمال الشام، حيث كان والده الأمير سيف الدين المشطوب مكلفاً من قبل صلاح الدين الأيوبي بالمرابطة به إلى جانب ملوك بني أيوب عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م لتوحيد البلاد تحت سلطانهم(١٢). ولهذا فإن رسالة البشرى بولادة ابن المشطوب مصدرها ثغر شمال الشام، وهذا يؤيد أن ولادة ابن المشطوب كانت في إحدى بلدان شمال الشام.

ينحدر ابن المشطوب من أسرة كردية تعود بنسبها إلى قبيلة الهكارية(١٣)، التي تعرف بعراقة سيادتها بين القبائل الكردية في ديار بكر من أعالي الجزيرة الفراتية، فقد كان جده أبو الهيجاء سيداً للقلعة العمادية(١٤) وقلاع أخرى من بلاد الهكارية(١٥).

ويبدو أن سيادة أسرة ابن المشطوب، ومكانتها الاجتماعية والعسكرية استمرت في العصر الأيوبي، فقد أدرك صلاح الدين الأيوبي أهمية هذه الأسرة ومكانتها بين أبناء جلدتها وتفانيها في خدمته؛ فقرب الأمير سيف الدين المشطوب واعتمد عليه في كثير من الحملات العسكرية(١٦)، لدرجة أن المؤرخين اعتبروا الأمير سيف الدين المشطوب وولده من أبرز أمراء الدولة الصلاحية(١٧).

وقد حصلت أسرة ابن المشطوب على مكانة مرموقة عند ملوك بني أيوب؛ إذ شغلوا العديد من المناصب العسكرية والإدارية، واقطعوا الإقطاعات في بلاد الشام والجزيرة الفراتية. فالأمير سيف الدين المشطوب وصل إلى منزلة ومرتبة عاليتين لا يضاهيه أو يدانيه فيهما أحد من أمراء الدولة الصلاحية(١٨). وقد عرف بين أمراء عصره بـ "الأمير الكبير"، واقتصر هذا اللقب عليه وحده(١٩)، وعرف أيضاً بـ "أمير الأكراد"(٢٠)، و"مقدم الجيوش"(٢١)، وقد اكتسب هذا اللقب لقيادته

(١٢) انظر الأصفهاني، عماد الدين (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) **البرق الشامي**، تحقيق فالح حسين، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان، الأردن، ١٩٨٧م، ج٣، ص٥٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٣، ص٣١.

(١٣) انظر هامش (٢).

(١٤) العمادية، قلعة حصينة تقع شمال الموصل، وتعد من أعمالها من بلاد الجزيرة الفراتية، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص٧١١.

(١٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٦. ابن خلكان، وفيات، م١، ص١٨١؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٧٠؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، حوادث ووفيات (٥٨١-٥٩٠هـ) تحقيق عمر تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣٠٢.

(١٦) انظر مشاركات المشطوب في الانتصارات العسكرية **البرق الشامي**، ج٣، ص٥٣، ١٥٥، ١٧٤.

(١٧) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨.

(١٨) ابن خلكان، وفيات، م١، ص١٨٣؛ الداوداري، عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) **كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار بني أيوب)** تحقيق عبد الفتاح عاشور، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧٢م، ج٧، ص١٠٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٢؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨.

(١٩) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٣؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٢، اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٦.

(٢٠) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٣. أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٨٧، ٣٤٨؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٦.

(٢١) الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٢. انظر أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٨٧، ٢٣٠-٢٣٤، ٣٤٨.

العساكر الأيوبية ومرابطته في سواحل بلاد الشام[٢٢]. ولحضوره الحملات الثلاث على مصر مع أسد الدين شيركوه وصلاح الدين[٢٣]، ولأنه أخضع الأكراد الهكارية وبلادهم لطاعة صلاح الدين الأيوبي[٢٤].

وكان صلاح الدين الأيوبي يقف عند حضور الأمير سيف الدين المشطوب إلى مجلسه مستقبلاً؛ تعظيماً وتكريماً لمكانته بين أمراء الدولة الصلاحية[٢٥]، ولأنه كان ذا فضل على صلاح الدين الأيوبي بتولي منصب الوزارة في مصر، وقيادة الجيش بعد وفاة أسد الدين شيركوه[٢٦]. وقد لازم الأمير سيف الدين المشطوب صلاح الدين الأيوبي حتى وفاته عام٥٨٨هـ/١١٩٢م[٢٧].

وقد أقطعه صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس[٢٨]، ومدينة نابلس[٢٩]، وكان دخله من نابلس ثلاثمائة ألف دينار[٣٠]، ويذهب أبو شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) إلى أنه جار على أهلها وظلمهم

(٢٢) **البرق الشامي**، ج٣، ص٥٣، ١٥٥. أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٤٧١، ج٣، ص٢٧، ٢٢٦. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، **التاريخ الصالحي**، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ج٢١، ص٥١٠. ابن شاهنشاه الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر(ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تحقيق حسن حبشي، دار المعرفة، القاهرة، (د.ت)، ج١، ٢١٤؛ الذهبي، **العبر**، ج٤، ص٢٢٢. النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٨هـ/١١٨٢م) **تاريخ المدارس**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ، ج١، ص١٦٣.

(٢٣) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق١، ص٤٢٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٤٨. العيني، بدر الدين محمود(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، منشور في موسوعة الشامية، ترجمة وتحقيق وتأليف سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ج٢٤، ص٤٤٠.

(٢٤) ابن شاهناه، **مضمار الحقائق**، ج١، ص٢١٧. سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق١، ص٢٤٠؛ أبو شامة **الروضتين**، ج٣، ص٢٣٠.

(٢٥) عماد الدين الأصفهاني، محمد بن محمد(ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) **الفتح القسي في الفتح القدسي**، دار المنار، ٢٠٠٤، ص٣٠٦؛ ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن نافع (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٠٨-٣٠٩. ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٢. أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٢٩٥. الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٣؛ العيني، **عقد الجمان** (الموسوعة الشامية)، ج٢٤، ص٤١٤.

(٢٦) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق١، ص٤٢٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٦٩-٧١.

(٢٧) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٣؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٨م، ج١٧، ص٧٣.

(٢٨) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٢؛ الذهبي، **العبر**، ج٤، ص٢٦٧؛ اليافعي، **مرآة**، ج٣، ص٣٣٢.

(٢٩) نابلس، مدينة مشهورة تقع وسط فلسطين، يحدها شمالاً مدينة جنين وجنوباً بيت المقدس وشرقاً نهر الأردن وغرباً قيسارية، وتبعد عن البحر المتوسط ٤٢كم شرقاً وعن بيت المقدس٩٦كم شمالاً، ولها كورة واسعة تكثر فيها الينابيع، انظر ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٤٨-٢٤٩؛ البيشاوي، سعيد، **نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية**، ط٢، عمان، ١٩٩١م، ص٣٦.

(٣٠) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص٥٨٧؛ ابن نظيف الحموي، محمد بن علي (ت بعد٦٣٩هـ/١٢٤١م) **التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)** منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج٢١، ص٣٢٩؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق١، ص٤٢٠. ابن

وزاد في الضرائب المفروضة عليهم[٣١]؛ فتذمر أهل نابلس، فلما قدم صلاح الدين الأيوبي لزيارة نابلس يوم الجمعة ٧ شوال ٥٨٨هـ/١٦ تشرين أول١١٩٢م، تقدم إليه أهل نابلس بشكايتهم في الأمير سيف الدين، فعاتبه صلاح الدين، وأنّبه، قائلاً: "لو كان هؤلاء يدعون لك هيهات أن يسمع الله، فكيف وهم يدعون عليك"[٣٢].

كان الأمير سيف الدين المشطوب قد تولى نيابة صيدا[٣٣] وبيروت[٣٤] للسلطان صلاح الدين الأيوبي[٣٥]، كما ولاه نيابة عكا[٣٦] عندما حاصرها الفرنج[٣٧] وقادة الحملة الصليبية الثالثة[٣٨]، في شهر محرم من عام ٥٨٧هـ/ شباط ١١٩١م [٣٩] ودافع عنها بمساندة عدد من الأمراء الأكراد وعلى رأسهم أخوه الجناح بن أحمد الهكاري[٤٠]، وفاوض الفرنج على الأمان، وعندما أخفق أغلظ

خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٣. أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٢٩٨. ابن أبي الدم الحموي، شهاب الدين إبراهيم (ت٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) **التاريخ المظفري**، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وترجمة وتحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج٢١، ص٢٧٤؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥.

(٣١) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق١، ص٤٢٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٣٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٣. العيني، **عقد الجمان** (الموسوعة الشامية)، ج٢٤، ص٤٢٠.

(٣٢) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص٢٣٩؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٤٢٠.

(٣٣) صيدا، مدينة على ساحل بحر الشام، وكانت تُعد من أعمال دمشق شرقي مدينة صور، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٤٣٧.

(٣٤) بيروت، مدينة على ساحل بحر الشام، وهي عاصمة لبنان وتبعد عن صيدا ثلاثة فراسخ، ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٥٢٥.

(٣٥) أبو شامة، **الروضتين**، ج٣، ص٤١١.

(٣٦) عكا، مدينة محصنة تقع على ساحل بحر الشام من أرض فلسطين، تكثر فيها أشجار الزيتون. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص١٤٣.

(٣٧) **التاريخ المنصوري (** الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٣٢٩؛ **التاريخ المظفري (**الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٢٧٣؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٢. اليافعي، **مرآة**، ج٣، ص٣٣٢؛ الذهبي، **دول الإسلام (**٥٨١-٥٩٠)، ص٤٣، ٨٦، ٣٠٢. وانظر الحملة الصليبية الثانية، **رواية شاهد عيان عن حروب ريتشارد قلب الأسد في قبرص والأراضي المقدسة**، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨، ج٣١، ص٢٦-٣١، ٦٨، ٨٦-٩١. أمبرويز، **صليبية ريتشارد قلب الأسد**، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ج٣٢، ص١٩٣

(٣٨) كانت الحملة الصليبية الثالثة ردة فعل البابوية في الغرب الأوروبي على استرداد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس من الصليبيين بعد معركة حطين عام٥٨٣هـ/١١٨٧م، وكان أشهر قادة الحملة الصليبية الثالثة ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وفيليب أغسطس ملك فرنسا. وانتهت هذه الحملة بصلح الرملة عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م. انظر أمير ويز، **صليبية ريتشارد قلب الأسد**، (الموسوعة الشامية)، ج٣٢، ص٥٨ وما بعدها؛ **حروب ريتشارد قلب الأسد في قبرص والأراضي المقدسة**، (الموسوعة الشامية)، ج٣١، ص٣١-١٠٠؛ رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٤، ص٧٥-١٤١؛ انظر حصار عكا، الذهبي، تاريخ الإسلام (٥٨١-٥٩٠)، ص٦٨-٧٢؛

(٣٩) ابن شداد، **النوادر**، ص٢٣١، ٢٥٢. الذهبي، **تاريخ الإسلام (**٥٨١-٥٩١)، ص٦٨-٦٩؛ العيني، **عقد الجمان**، (الموسوعة الشامية)، ج٢٤، ص٣٥٦، ٣٦٥.

(٤٠) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٢٥٩، ٣٢٣. العيني، **عقد الجمان** (الموسوعة الشامية)، ج٢٤، ص٣٨٤.

لهم القول، فقال: "نحن لا نسلّم البلد حتى نقتل بأجمعنا، فيكون مصرعكم قبل مصرعنا، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين"[٤١]. واستمر الأمير سيف الدين المشطوب مقيما فيها حتى أسره الفرنج[٤٢] ثم افتدى نفسه بمبلغ قدرته المصادر الإسلامية بخمسين ألف دينار[٤٣].

وأفضل ما يعبر عن ولاء آل المشطوب وانتمائهم إلى البيت الأيوبي جواب الأمير سيف الدين المشطوب لصلاح الدين الأيوبي عندما اجتمع بالأمراء الأكراد يوم الخميس ١٩ جمادى الآخرة ٥٨٨هـ/٢ تموز١١٩٢م؛ لحثهم على نصرة الإسلام والمسلمين ضد قوات الحملة الصليبية الثالثة، حيث قال: "يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك، وأنت الذي أنعمت علينا، وكبرتنا، وعظمتنا، وأعطيتنا، وأغنيتنا، وليس لنا إلا رقابنا وهي بين يديك، والله ما يرجع أحد منا عن نُصرتك إلى أن نموت"[٤٤]. ومع هذا الولاء والعزيمة التي عبر عنها الأمير سيف الدين المشطوب، إلا أن الأمر انتهى إلى معاهدة صلح الرملة، وقد كان الأمير سيف الدين من خيرة الأمراء الذين استشارهم صلاح الدين في بنود المعاهدة وشروطها[٤٥]. وكان من ضمن الأمراء الذين أقسموا على المعاهدة؛ لأن إقطاعياته مجاورة للفرنجة[٤٦]. وخلفه صلاح الدين في مدينة القدس للدفاع عنها[٤٧].ولكن لم يدم المشطوب طويلاً بعد صلح الرملة، فقد توفي يوم الأحد ٢٣ شوال ٥٨٨هـ/١تشرين ثاني١١٩٢م في مدينة القدس، ودفن بداره بعد أن صلّي عليه في المسجد

(٤١) عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص٢٢٦؛ انظر ابن شداد، **النوادر**، ص٢٥، ٢٥٤؛انظر ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٠٦-٢٠٧؛ **التاريخ المنصوري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٣٢٦؛ **التاريخ المظفري** (الموسوعة الشامية)ج٢١، ص٢٧٣. أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٢٥٦-٢٦٥؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٢٨؛ الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م) **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٦، ص١٧٧؛ انظر تفاوض المشطوب مع الصليبيين، **حروب ريتشارد قلب الأسد في قبرص والأراضي المقدسة**، (الموسوعة الشامية)، ج٣١، ص٨٦-٨٧.

(٤٢) انظر عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص٢٦٩. ابن شداد، **النوادر**، ص٢٥٢-٢٦٢. **التاريخ المنصوري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٣٢٩؛ **التاريخ المظفري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٢٧٣. ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٢؛ اليافعي، **مرآة**، ج٣، ص٣٣٢.

(٤٣) عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص٣٠٦؛ ابن شداد، **النوادر**، ص٣٠٨؛ **التاريخ المنصوري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٣٢٩؛ **التاريخ المظفري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٢٧٤؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٤٢٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٢٩٨؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٦، ص٦٣٩. اليافعي، **مرآة**، ج٣، ص٣٣٢.

(٤٤) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٠٧؛ انظر ابن كثير، **البداية**، ج١٦، ص٦٤١.

(٤٥) أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٣١٣-٣١٤. انظر استشارة صلاح الدين الأيوبي الأمير سيف الدين المشطوب. **حروب ريتشارد قلب الأسد في قبرص والأراضي المقدسة**، (الموسوعة الشامية)، ج٣١، ص٢١١.

(٤٦) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٢٦، اليافعي، **عقد الجمان** (الموسوعة الشامية)، ج٢٤، ص٤٣٣؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **مسالك الأمصار في ممالك الأمصار**، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج٢٣، ص٨٦.

(٤٧) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٤٩.

الأقصى[٤٨].

ورث ابن المشطوب سيادة أسرته ومكانتها الاجتماعية والعسكرية التي خلفها له والده الأمير سيف الدين المشطوب عند ملوك بني أيوب، فأصبح ملك الأكراد[٤٩] ومن أكابر أمراء عصره، وله حرمته ومكانته عند ملوك بني أيوب حتى عدوه واحداً منهم[٥٠]. وكان ابن المشطوب قد اجتمع حوله لفيف من الأكراد، جعل الملوك تهابه، وقد اكتسب تأييدهم بهمته العالية وشجاعته وكرامته؛ إذ أغدق عليهم من كرم جود؛ فاستمال قلوبهم وملكهم[٥١]. ويصفه الصفدي (ت٧١٧هـ/١٣١٧): بأنه "كان أميراً كبيراً وافر الحرمة عند الملوك، وهو بينهم كأنه واحد منهم، عالي الهمة، غزير الجود، شجاعاً أبي النفس، تهابه الملوك، وله وقائع مشهورة في الخروج عليهم"[٥٢]. وقد أقطعه صلاح الدين الأيوبي ثلثي واردات نابلس بعد وفاة والده، وأوقف الثلث الأخير للإنفاق على مصالح القدس[٥٣].

وعد ابن المشطوب من أكبر أمراء الدولة الكاملية في مصر[٥٤]، والمصادر الإسلامية نعتته بهذا اللقب وحسبته على الملك الكامل رغم خروجه عليه؛ لأن أول تعامل بين ابن المشطوب وملوك البيت الأيوبي كان مع الملك الكامل في حصار مدينة ماردين[٥٥] عام٥٩٠هـ/١١٩٤م بتكليف من الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي[٥٦].

وتعد بوادر ظهور نزعات ابن المشطوب بعد أن افتدى والده من أسر الفرنج في عكا، حيث يشير عماد الدين الأصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) أن المشطوب بعد أن أطلق سراحه من أسر

(٤٨) ابن شداد، النوادر، ص٣٥٥؛ **التاريخ المنصوري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٣٢٩؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٢؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٢٩٨، ٣٤٨، ٣٤٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٣؛ العيني، **عقد الجمان**(الموسوعة الشامية)، ج٢٤، ص٤٤٠.

(٤٩) الداوداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٨.

(٥٠) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥؛ انظر الداوداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٨؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨.

(٥١) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ انظر ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٦١٤؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(٥٢) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(٥٣) عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص٣٠٦؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠-١٨١؛ **التاريخ المنصوري** (الموسوعة الشامية) ج٢١، ص٥٣٠؛ **التاريخ المظفري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٢٧٤؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٤٨، ٣٤٩، ٤٢٠؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥. **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨؛ العيني، **عقد الجمان** (الموسوعة الشامية)، ج٢٤، ص٤١٤، ٤٤٠.

(٥٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٣.

(٥٥) ماردين، قلعة مشهورة مشرفة على نصيبين ودارا ونصيبين في الجزيرة الفراتية، أمامها ربض واسع تكثر فيها الخانات والمدارس. انظر ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٣٩.

(٥٦) ابن نظيف الحموي، محمد بن علي (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م) **التاريخ المنصوري**، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العبد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٩٨١، ص٨.

الفرنج عام ٥٨٨هـ/١١٩٢ وجد ابنه قد تقمص سلوك الأتراك في إطالة شعرهم وتجديله؛ فأنكر عليه فعلته وأكبر تصرفه وأنّبه عليه قائلاً له: "ما للأكراد في شعورهم هذا الشعار" وأجبره على قطع ضفيرتيه، وقلل من قيمته بين الناس وأنقص من نفقته، عقوبة على تصرفه وخروجه على عاداته وتقاليده وعدم مراعاة حرمة والده بين أمراء عصره(٥٧).

وهذه البوادر بدت بوضوح على ابن المشطوب بعد وفاة والده، فلم يحافظ على إرث والده ومكانته وانتمائه وولائه لملوك البيت الأيوبي؛ إذ وظّف ورثه من مكانة اجتماعية وعسكرية في الخروج على ملوك بني أيوب، وأقحم نفسه في خلافاتهم وانقساماتهم رغبة منه في تحقيق مصالح ذاتية كغيره من الأمراء الذين سعوا إلى الاستقلال والانشقاق عن الدولة الأيوبية في إقطاعاتهم، ومرد ذلك ملوك بني أيوب الذين انقسموا على أنفسهم؛ الأمر الذي أطمع الأمراء فيهم.

بدايات نزعة ابن المشطوب الانفصالية

تشتت ولاء الأمراء الصلاحية بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩هـ ١١٩٣م؛ إذ فرض عليهم ولاؤهم وانتماؤهم الصلاحي إقحام أنفسهم في خضم خلافات البيت الأيوبي وانقساماته(٥٨). فكان ابن المشطوب من بين هؤلاء الأمراء، وبخاصة أن والده الأمير سيف الدين المشطوب خلف له مكانة وسمعة مرموقتين بين ملوك البيت الأيوبي، ما جعلهم يقدرونه، ويعدونه واحدا منهم، ومن أكابر أمرائهم، وقد ورث هذه المكانة لأنه أصبح بعد وفاة والده سيد قومه من الأكراد، فجعل الملوك تهابه(٥٩)،" ولم يزل قائم الجاه من الأيام الصلاحية"(٦٠).

ويبدو أن ملوك بني أيوب كانوا يتقربون إليه لحاجتهم إلى العساكر الأكراد التي كانت تحت إمرته، لكن ابن المشطوب أدرك هذه الأهمية وبدأ يستغلها لتحقيق مصالحه الذاتية، وأصبح في ولائه على النقيض من والده في تفانيه وإخلاصه للدولة الصلاحية؛ إذ كان متقلبا في ولائه وانتمائه، لا يعرف الإخلاص إلا للأمير الذي يعمل معه، ويكون حجم إخلاصه مؤقتا ومرتبطا بمدى الفائدة التي تعود عليه من التبعية، فكانت مصالحه الخاصة تحكمه في ولائه وتبعيته لملوك بني أيوب.

وقد ظهرت نزعته الفردية وخروجه على ملوك بني أيوب وهو لم يتعد الثامنة عشرة من عمره؛ إذ تآمر عام ٥٩٣هـ/١١٩٧م مع عدد من أمراء الدولة الأيوبية لقتل الملك العزيز ومدبر دولته فخر الدين جهاركس(٦١)، مستغلين فرصة قدومهما إلى فلسطين لنجدة الملك العادل في أثناء

(٥٧) عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص٣٠٦.

(٥٨) انظر خلافات أمراء بني أيوب، ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٣٩؛ **التاريخ المنصوري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٣٣١-٣٣٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٤٤-٤٤٩.

(٥٩) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٦١٤؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨.

(٦٠) المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤.

(٦١) الأمير فخر الدين جهاركس أبو المنصور ابن عبد الله المنصوري الصلاحي، كان أميراً كريماً يعمل في خدمة صلاح الدين الأيوبي، توفي عام (٦٠٧هـ/١٢١١م) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص٣٨١؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص١٢٢.

حصاره لحصن تبنين، غير أن هذه المؤامرة باءت بالفشل؛ إذ علم العزيز بها؛ فعاد إلى مصر[٦٢].

إن عصيان ابن المشطوب وتآمره على العزيز شجعه على أن يتمادى على ثلث واردات مدينة نابلس، التي أوقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي للإنفاق على مدينة القدس؛ فساءت سيرته في نابلس، وأنكر عليه الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي فعلته[٦٣]، وكان العزيز ينتظر الفرصة لتأديب ابن المشطوب والانتقام منه[٦٤]؛ فطالبه العزيز بتسليم إقطاعيته في نابلس؛ فرفض ابن المشطوب[٦٥]، وتعذر بأنها من أملاك الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي؛ ورغم ذلك خشي ابن المشطوب الملك الأفضل إذا ما نمى الخبر إليه أن يحاسبه ويلاحقه ويصرفه عن ولايته وإقطاعيته في نابلس، وبخاصة أن ابن المشطوب علم بأن الملك الأفضل ينوي تسليم القدس لأخيه العزيز في مصر، فكاتبه ابن المشطوب وتعهد له بسداد جميع الوقف المخصص لصالح القدس، فجدد الأفضل إمرة ابن المشطوب عليها، وعدل عن التنازل عن القدس لأخيه العزيز[٦٦]. فأغضب بتصرفه هذا أخاه الملك العزيز وحصلت بينهما الوحشة، وزاد هذه الوحشة بعد أن قرب الملك الأفضل ابن المشطوب وأحسن إليه رغم فعلته[٦٧].

استمرت إقامة ابن المشطوب في نابلس حتى انتزع الملك العزيز دمشق وفلسطين[٦٨] من أخيه الأفضل، ولم يعد لابن المشطوب مكان عند الملك العزيز لأن نابلس أقطعت لأمير آخر[٦٩]. فالتحق ابن المشطوب بخدمة الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي وابنه الملك الكامل بن العادل كما سيتضح.

وبعد وفاة الملك العزيز، تولى أخوه الملك الأفضل أمر مصر عام ٥٩٥هـ/١١٩٩م؛ فخشيه الأمراء الصلاحية؛ لأنهم ناصروا العزيز على انتزاع دمشق منه، وإقطاعها لابن عمه المعظم عيسى بن العادل عام٥٩٠هـ/١١٩٤م[٧٠]، كما لمسوا رغبته في استرجاع دمشق لحاضرته وملكه، فكان هذا "سبب تفرقة الصلاحية أولاً، وتسحبوا واحداً بعد واحد إلى الشام"[٧١]، ففارقه

(٦٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٧.

(٦٣) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٢٠؛ **التاريخ المنصوري** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٣٥.

(٦٤) الحايك، منذر، **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية**، ط١، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، ٢٠٠٦م، ج١، ص١٠٧.

(٦٥) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٠٢.

(٦٦) **التاريخ المنصوري (**الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٣٥.

(٦٧) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٢٠؛ **التاريخ الصالحي (**الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٣٥.

(٦٨) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٣٤، ٢٣٩- ٢٤٠؛ **التاريخ المنصوري**، ص٧.

(٦٩) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٤٤٦.

(٧٠) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٣٤، ٢٣٩-٢٤٠. **التاريخ المنصوري**، ص٧؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٤٤، ٤٤٧. ابن كثير، **البداية**، ج١٦، ص٦٨٥-٦٨٦.

(٧١) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٥٥-٢٥٧؛ **التاريخ المنصوري**، ص٨؛ **التاريخ الصالحي (**الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٣٨.

الأمراء الصلاحية بزعامة الأمير فخر الدين جهاركس، وقصدوا القدس من مصر، واستدعوا عمه الملك العادل الذي كان يحاصر مدينة ماردين وأبلغوه بنوايا الملك الأفضل(٧٢)، فأوكل الملك العادل مهمة حصار ماردين لابنه الملك الكامل وعماد الدين ابن المشطوب، وكان نتيجة هذا الحصار رحيل الملك الكامل وابن المشطوب عنوة عن ماردين إلى حران(٧٣) من أراضي الجزيرة الفراتية(٧٤).

وهذه الأحداث توضح البدايات الأولى لظهور ابن المشطوب على ساحة الخلافات والانقسامات بين ملوك البيت الأيوبي، وإظهار ولائه المتقلب بين أبناء صلاح الدين الأيوبي وعمهم الملك العادل، وقد استغل ابن المشطوب الوضع الذي آل إليه ملوك بني أيوب؛ فسعى إلى توسيع دائرة الخلافات بينهم، واستغلها لتحقيق مصالح ذاتية بتأسيس ملك خاص به يضاهي ملك الملوك الأيوبيين.

وصل الملك الأفضل من الديار المصرية إلى دمشق يوم ١٤ شعبان٥٩٥هـ/١١ حزيران ١١٩٩م، وفرض حصاراً عليها بمساعدة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب، غير أن تحالف الأمراء الصلاحية مع الملك العادل، واستدعاء العساكر التي كانت تحت إمرة الكامل وابن المشطوب من الجزيرة الفراتية جعلت الملك الأفضل يعيد حساباته فينسحب عن دمشق، ويعود إلى الديار المصرية، كما يعود شقيقه الملك الظاهر إلى حلب(٧٥).

إن حصار الملك الأفضل دمشق جعل الملك العادل يفكر جدياً بالاستيلاء على مصر، وبخاصة أن الأمراء الصلاحية كانوا يناصرونه على ابن أخيه الملك الأفضل، فكان يقول وهو يجهز العساكر لمقاومة الملك الأفضل بدمشق" لا بد من ديار مصر"،"والناس يعجبون من قوله وفعله ويهجنون رأيه"(٧٦).

توجه الملك العادل في إثر الملك الأفضل إلى مصر، وامتلكها منه وعوضه عنها بإقطاعات في بلاد الجزيرة الفراتية(٧٧)؛ وملّك مصر إلى الملك المنصور ابن الملك العزيز عثمان، وتوجه

(٧٢) **التاريخ المنصوري**، ص٨؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦١٢-٦١٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٤٤-٤٤٨؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٣٨.

(٧٣) حران مدينة مشهورة من ديار مضر وتعد قصبتها، بنيت على نهر البليخ بالغرب من منبعه، ويحيط بها من الجنوب والشرق على بعد ١١كم جبل طوله٨٨كم، بنيت بيوتها من الحجارة الكلسية، وتمتاز بتربتها الحمراء. انظر ابن شداد، محمد بن علي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م، ج٣، ق١، ص٤٠.

(٧٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٦٠-٢٦١؛ **التاريخ المنصوري**، ص٨.

(٧٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٥٧-٢٥٨؛ **التاريخ المنصوري**، ص٩-١٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٤٨-٤٥٦؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥١؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٣٨، ١٤٠.

(٧٦) **التاريخ المنصوري**، ص١١.

(٧٧) أقطع مدينة ميافارقين ورأس عين الخابور، وسميساط وحاني وجبل جور، جميعها من أراضي الجزيرة الفراتية، **التاريخ المنصوري**، ص١١؛ لنظر أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٥٦؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٤١؛ الحنبلي، **شفاء القلوب**، ص٢٠٦.

سلطاناً على البلاد عام٥٩٦هـ/١٢٠٠م على أن يكون الملك العادل أتابكه[٧٨](الكافل والمربي)[٧٩]، وكان ذلك بمساعدة الأمراء الصلاحية الذين انقلبوا بولائهم إلى الأمراء العادلية[٨٠]. غير أن الملك العادل راودته نفسه في العام نفسه باستحلاف الناس بالسلطنة لنفسه، فحصل على مبتغاه، واستدعى ابنه الكامل من بلاد الشام ورتبه نائباً عنه في مصر وجعله ولي عهده[٨١].

إن انتقال السلطنة من الفرع الصلاحي إلى الفرع العادلي جعل الأمراء ينقضون اتفاقهم مع الملك العادل، ويرجعون بولائهم إلى الصلاحية، وقد أدى ذلك إلى الوحشة بينهم وبين الملك العادل فخرجوا عن طاعته[٨٢]. وبدأ بعض الأمراء الصلاحية يفكرون بالاستقلال في إقطاعاتهم مستغلين الأوضاع السائدة بين أبناء صلاح الدين الأيوبي وعمهم الملك العادل، متذرعين بحجة إعادة السلطنة إلى أبناء صلاح الدين الأيوبي الضعاف؛ رغبة منهم في استمراريتهم في الحكم وسيطرتهم على السلطنة، بعد إبعاد السلطان الملك العادل عن السلطنة، الذي كان يعرف بهمته العالية وعدم اختلاف أحد من عامة الناس عليه؛ رغبة في دينه وتدبيره وحزمه[٨٣].

لذلك تآمر بعض الأمراء الصلاحية؛ فتحالف ابن المشطوب عام٥٩٦هـ/١٢٠٠م، ولم يكن عمره يتجاوز الحادية والعشرين، مع الأمير فخر الدين جهاركس والأمير زين الدين قراجا[٨٤] والأمير ميمون القصري[٨٥]، واتفقوا في ما بينهم على إعادة الملك الأفضل إلى دمشق، وأبلغوا الملك الأفضل بتحالفهم ونواياهم[٨٦]، ولم يكن الملك الأفضل يثق بهم؛ فلجأ إلى قائد والده عز الدين أسامة[٨٧] بعد أن انتظر عودته من الحج، ولم يكن يعلم أن ولاءه عادلي؛ فأبلغه بما خطط

(٧٨) **التاريخ المنصوري**، ص١٢؛ انظر ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٦٥-٢٦٦؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٦٠؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٤١.

(٧٩) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦١٧.

(٨٠) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٣٨.

(٨١) **التاريخ المنصوري**، ص١٢-١٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٦٦؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٤٦٠؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٤١؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٦٩٣.

(٨٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٩٦؛ ابن العديم، **زبد**، ج٢، ص٦١٨؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥٣؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٤١.

(٨٣) **التاريخ المنصوري**، ص١٢.

(٨٤) قراجا، زين الدين قراجا الصلاحي، صاحب صرخد توفي عام٦٠٤هـ/١٢٠٧م ودفن بدمشق، انظر أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٢٦م)**تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين**، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٤م، ص٦٢؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٦١.

(٨٥) ميمون القصري، الأمير فارس الدين ميمون القصري، يعد من كبار الأمراء الصلاحية، توفي بحلب عام٦١٠هـ/١٢١٣م، ابن واصل، **مفرج**، ج٣، ص٢٢٠.

(٨٦) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٦٩؛ **التاريخ المنصوري**، ص١٣؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦١٨-٦١٩؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥٣.

(٨٧) عز الدين أسامة، قائد عسكري من الأمراء الصلاحية، تولى أمر بيروت وعجلون وكوكب وبيسان؛ وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي أقحم نفسه في خضم خلافات ملوك بني أيوب، وقد تذبذب في ولائه الصلاحي والعادلي، فتنقل بين مصر والشام، وانتهى به الأمر بقبض الملك المعظم عيسى عليه عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م، فجرده من إقطاعه في

إليه ابن المشطوب مع الأمراء الصلاحية، وقد أظهر عز الدين أسامة "سروراً وفرحاً وحمد الله على ذلك"[٨٨]؛ وهو يكتم بداخله نية إفشاء سرهم للملك العادل، وما إن فارقه الأفضل حتى كاتب الملك العادل وأعلمه عن نوايا حلف ابن المشطوب مع الأمراء الصلاحية، ولم يكتف الأمر على المكاتبة وإنما سار عز الدين أسامه بنفسه إلى الملك العادل وأبلغه بالأمر مشافهة[٨٩].

أعاد الملك العادل حساباته مع الأمراء الصلاحية؛ فتراجع عن منحهم الإقطاعيات، وأمر ابنه الملك المعظم بسحبها منهم وتجريدهم إياها، الأمر الذي أثار الأمراء الصلاحية، وتبنى الأمير فخر الدين جهاركس فكرة ابن المشطوب بإعادة السلطنة والبلاد إلى أبناء صلاح الدين الأيوبي؛ فبدأ عام٥٩٧هـ/١٢٠١م يحرض الأمراء الصلاحية؛ إذ حرض الأمير فارس الدين ميمون القصري، وزين الدين قراجا، وحثّهم على التحرك مع أتباعهم لمناصرة الملك الأفضل وأخيه الملك الظاهر صاحب حلب، وأقنعهم بالخروج على الملك العادل والاستيلاء على دمشق وتسليمها للملك الأفضل، مستغلين فرصة غياب الملك العادل في الديار المصرية[٩٠].

أخذ الأمير عز الدين أسامة يتصل مع الأمراء الصلاحية على أنه واحد منهم؛ لمعرفة أسرارهم ونواياهم وما يجول في خواطرهم، ثم إبلاغ الملك العادل بها؛ ويذهب ابن نظيف الحموي (ت بعد ٦٣٩هـ/١٢٤٢م) أن عز الدين أسامة "شرع بمكاتبتهم، وإظهار أنه معهم، وكان كذاباً في ذلك"[٩١]. كما أن تحالف الأمراء الصلاحية كان يسوده الشبهات المبنية على المصالح الخاصة، وعدم صفاء نوايا الجميع؛ إذ شارك الأمير فخر الدين جهاركس الملك الأفضل في هذا التحالف مقابل أربعين ألف دينار، يستلم منها ثلاثين قبل الشروع في حصار دمشق، ورهاناً بقيمة عشرة آلاف دينار لحينما يتم الاستيلاء عليها. أما الأمير قراجا، فكان نصيبه إقطاعية صلخد[٩٢]، ويبدو أنه اشترط على الملك الأفضل إنزال أهله في صلخد كرهينة ودلالة على صدق نوايا الملك الأفضل، ولم يكن لهذا الأمر تفسيراً غير الرغبة في الملك وطمعاً فيه[٩٣]. وكانت علاقة الملك الأفضل بأخيه الملك الظاهر يشوبها سوء النية "وحسد بعضهما بعضاً" في السيطرة على دمشق. ويذكر ابن النظيف الحموي في هذا السياق، أنهما "جدا تارة وقصرا تارة أخرى إلى أن وصلا–

عجلون وكوكب وبيسان وسجنه في قلعة الكرك، انظر **التاريخ المنصوري**، ص٦٤، ٦٧-٦٨؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص ١٥٥، ٢٤٤، ٣٤١، ٣٤١، ٤٥٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص ١٠٨، ١٢٢.

(٨٨) **التاريخ المنصوري**، ص١٣؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥٣، انظر ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٦٩.

(٨٩) **التاريخ المنصوري**، ص١٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٦٩؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥٣.

(٩٠) **التاريخ المنصوري**، ص١٤-١٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٦٩؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦١٨-٦٢٠؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥٣. الحنبلي، **شفاء القلوب**، ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٩١) **التاريخ المنصوري**، ص١٥؛ انظر **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥٣-٥٥٤.

(٩٢) **صلخد**، بلدة تقع ضمن محافظة السويداء في سورية، فيها قرى ومزارع، ولها قلعة مشرفة عليها، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص ١٣ .

(٩٣) **التاريخ المنصوري**، ص١٦؛ الحنبلي، **شفاء القلوب**، ص٢٠٨.

دمشق- بعد أن كانا قد عزما على العودة عنها غير مرة، فجدا على قصدها ووصلاها ونازلاها وحاصراها مدة، ولم ينالا منها غرضاً، وذلك لسوء نياتهما"(٩٤).

كان الملك الظاهر يضمر في نفسه عدم تسليم دمشق لأخيه الملك الأفضل حال الاستيلاء عليها، وقد صرح بذلك لأتباعه، وحينما تنامى الخبر إلى مسامع الأميرين جهاركس وقراجا، استغلا الموقف ووضعا نصب أعينهما الغدر به، وبخاصة أن الملك الظاهر كان يعظم الأمير فارس الدين ميمون ويكرمه ويفضله عليهما(٩٥). وعندما علم الملك الأفضل بقول الملك الظاهر، تواصل سراً مع عمه الملك العادل الذي كان يرابط في نابلس واتفق معه على الصلح، فمنحه العادل إقطاعاً جديداً(٩٦) مقابل إفشال تحالف ابن المشطوب(٩٧)؛ لأن العادل كان يدرك أهمية هذا التحالف الذي كان يشكله ابن المشطوب بحكم قوته ومكانته وزعامته للأكراد(٩٨).

والغريب في الأمر أن المصادر لم تذكر صراحة أو توضح أن ابن المشطوب صاحب فكرة التحالف قد حصل على امتيازات كغيره من الأمراء الصلاحية، في حين يؤكد ابن نظيف الحموي أن الملك الأفضل أبلغ ابن المشطوب باتفاقه وصلحه مع عمه الملك العادل، ويبدو أن هذه الثقة تولدت عند الملك الأفضل لأن ابن المشطوب لم يطالب بأية امتيازات كغيره من الأمراء، فضلاً عن أن ابن المشطوب صاحب فكرة التحالف والاستيلاء على دمشق، ولذلك كان لا بد للملك الأفضل من استشارة ابن المشطوب في الصلح لما له من تأثير في أتباعه من العسكر، وقد استطاع الملك الأفضل التأثير في ابن المشطوب وحثه على الصلح بعد أن أطلعه على نوايا أخيه الملك الظاهر؛ فارتد ابن المشطوب مع أتباعه عن القتال، وتركوا مهمة الاستيلاء على باب الحديد أحد أبواب دمشق(٩٩). ولكن ابن المشطوب تراجع عن مناصرته الملك الأفضل بعد أن رأى تواطؤه مع جهاركس وقراجا، وتركه لهما يهربان من عساكر التحالف، فضلاً عن أنه قد تنامى إلى مسامعه حصولهما على امتيازات من الملك الأفضل، الأمر الذي جعل ابن المشطوب يغير من موقفه وينضم إلى حزب الملك الظاهر، ويحثه على القتال والاستبسال في دخول دمشق، وقد استطاع ابن المشطوب دخول جسر باب الحديد، غير أن استبسال أهل دمشق من جهة، ورسل الملك العادل للملك الأفضل من جهة أخرى حالا دون تنفيذ مخططه في الاستيلاء على دمشق

(٩٤) **التاريخ المنصوري**، ص١٦؛ انظر ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٧٠-٢٧١.

(٩٥) **التاريخ المنصوري**، ص١٦-١٨؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٢١؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ص٥٥٤-٥٥٥؛ الحنبلي، **شفاء القلوب**، ص٢٠٨.

(٩٦) أقطعه الملك العادل بلدة رأس عين الخابور، وجملين والموزر وسميساط وميافارقين وحاني وذي القرنين، وتعهد له أن يحمل إليه في كل سنة من مصر قماشاً بخمسين ألف دينار، وخمسين ألف دينار عيناً وذهباً ؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٧١، **التاريخ المنصوري**، ص١٩.

(٩٧) **التاريخ المنصوري**، ص١٧؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٥٥٥.

(٩٨) الحايك، **العلاقات الدولية**، ج١، ص١٠٩.

(٩٩) **التاريخ المنصوري**، ص١٧-١٨.

بتحالفه مع الملك الظاهر[١٠٠].

ويرجع سبب تغيير موقف ابن المشطوب إلى حصوله على وعود بإقطاعيات جديدة من الملك الظاهر، وإن لم تصرح المصادر الأولية بذلك، فإنها تذكر أن ابن المشطوب عاد عن دمشق برفقة الملك الظاهر إلى حلب يوم الإثنين ١ محرم ٥٩٨هـ/١ تشرين أول ١٢٠٢م، وفي أثناء سيرهما أقطع الملك الظاهر لابن المشطوب مدينتي منبج[١٠١] وقلعة نجم[١٠٢]، وكانت قلعة نجم من بلاد الملك الأفضل، وعندما قصدها ابن المشطوب للاستيلاء عليها، منعه أصحاب الملك الأفضل، فعاد إلى حلب وطالب الملك الظاهر بمنبج، فماطله برهة ثم أقطعها له بعد أن دمر الملك الظاهر قلعتها[١٠٣].

إن مخططات ابن المشطوب وإثارة أبناء صلاح الدين الأيوبي ضد عمهما، أثارت ضغينة الملك العادل تجاهه، مع أن ابن المشطوب كان من المقربين إلى الملك العادل وقد اعتمد عليه في تدبير أمور العساكر في ماردين[١٠٤] لكن الملك العادل طالب الملك الظاهر بعد حصار دمشق أن "لا يستخدم ابن المشطوب أو يتعامل معه، وأن يقطع عنه إيرادات إقطاعياته، وأخذ عليه بذلك الأيمان المغلظة"[١٠٥]. وتنفيذا لمطالب الملك العادل قام الملك الظاهر بإرسال قواته إلى منبج وجردها من ابن المشطوب[١٠٦]، ولكنه أوعز في الوقت نفسه إلى ابن عمه الملك الأوحد ابن العادل أن يقرب ابن المشطوب منه ويعطف عليه، ويكون بذلك قد أرضى عمه الملك العادل، وأمن ابن المشطوب، ففعل الأوحد بوصية ابن عمه مع ابن المشطوب، إلا أنه لم يحدث بينهما انسجام، فتحول ابن المشطوب إلى الملك الأشرف ابن الملك العادل؛ فقربه منه وأحسن إليه[١٠٧].

أخذ الملك الأشرف صاحب الجزيرة الفراتية، يستفيد من إمكانات ابن المشطوب العسكرية؛ فوجهه عام٥٩٩هـ/١٢٠٣م على رأس حملة إلى ماردين من ديار بكر موطن الأكراد؛ بهدف

(١٠٠) **التاريخ المنصوري**، ص١٨؛ انظر هروب الأمراء الصلاحية، ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٧١.

(١٠١) منبج، مدينة تقع إلى الغرب من الفرات، بنيت على هضبة مرتفعة، ينسب إليها جسر منبج الذي يربط شرق الفرات بغربه، ويعد ممر القوافل القادمة من الجزيرة الفراتية إلى بلاد الشام ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٠٥، ابن شداد، **الأعلاق**، ج١، ق٢، ص١١٠؛

(١٠٢) قلعة نجم، تقع إلى الجنوب من جسر منبج، مبنية على قمة صخرة وعرة، وصفت بحصانتها، وكانت تعرف بحصن منبج، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٩١؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م، ج١، ص١١١، ابن شداد، **الأعلاق**، ج١، ق٢، ص١١٠.

(١٠٣) **التاريخ المنصوري**، ص٢٠-٢٢؛ **التاريخ الصالحي** (الموسوعة الشامية)، ج٢١، ص٢٥٥؛ ابن العديم **زبدة**، ج٢، ص٦٢١؛ الحنبلي، **شفاء القلوب**، ص٢٠٩.

(١٠٤) **التاريخ المنصوري**، ص٨.

(١٠٥) **التاريخ المنصوري**، ص٢٥؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق فيدة قمحية وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص١٥.

(١٠٦) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٢٢.

(١٠٧) **التاريخ المنصوري**، ص٢٥. ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٢٢. النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص١٥.

بسط سيادته عليها، وعندما علم أهل ماردين بالحملة كاتبوا الملك العادل وتكفلوا بحمل خمسين ألف دينار للملك الأشرف على أن يكف حملة ابن المشطوب عنهم؛ فعاد ابن المشطوب بأمر الملك الأشرف، وكافأه بإقطاعه مدينة رأس عين الخابور بعد أن استولى عليها الملك الأشرف بمساعدته مع مجموعة من القرى والمدن التابعة للملك الأفضل في الجزيرة الفراتية[١٠٨]. وكان الأشرف يسعى من وراء ذلك إلى الإيقاع بين ابن المشطوب والأفضل، الذي يعتقد أن هذه البلادة من حقوقه المسلوبة[١٠٩]، ومن جانب آخر يكسب الأشرف استمرارية ولاء ابن المشطوب وأتباعه له.

إن صورة ابن المشطوب قد تغيرت عند الملك الأشرف؛ فقد أحسن إليه واعتمد عليه في إخضاع البلاد لسيادته، وما إن لمس الملك الأشرف إخلاص ابن المشطوب وتفانيه في خدمته حتى سعى إلى تحسين صورته عند الملك العادل، فاستخدمه الملك الأشرف سفيراً لوالده، لكي يستأذنه على لسان ابن المشطوب في ما يفعله مع نور الدين[١١٠] أمير الموصل، الذي تحالف مع مجموعة من أمراء الشام لتقويض حكم الملك الأشرف في الجزيرة الفراتية[١١١]. وقد كسر ابن المشطوب في سفارته، هذه حاجز العداوة مع الملك العادل وكسب ثقته، فاستأمنه الملك العادل على رسالة لابنه الملك الأشرف، كان مضمونها: "إن قصدكم صاحب الموصل لا تلاقوه، ولا تغتروا بقول صاحب سنجار[١١٢] وآمد[١١٣]"، فعاد ابن المشطوب ونقل الرسالة إلى الملك الأشرف، مما كان له أثر في انتصار الملك الأشرف وأتباعه على نور الدين أمير الموصل وأتباعه يوم السبت١٧شوال٦٠٠هـ/١٨حزيران١٢٠٤م[١١٤].

لم يستمر ابن المشطوب في ولائه للملك الأشرف؛ إذ أصبح متقلب الولاء وتحكمه المصالح الشخصية؛ فلم ينظر معتبراً بالحسنى إلى من أحسن إليه أو تصافى معه، خاصة بعد أن فقد أصدقاءه،، فقد أثر فيه الملك الظاهر عام٦٠٣هـ/١٢٠٧م؛ فأفسده وأفسد عساكره وأتباعه ضد الملك العادل[١١٥] رغم أن الملك الظاهر قد سبق وأن تخلّى عنه وجرده من إقطاعه بناء على طلب الملك العادل، وأن الأخير وثق به واعتمد عليه في نقل رسالته لابنه الملك الأشرف، الذي احتضنه وأحسن إليه ومنحه الإقطاعيات عندما نفر منه ملوك بني أيوب كافّة، إلا أن ابن المشطوب تخلى

(١٠٨) **التاريخ المنصوري**، ص٣٨-٣٩؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص١٥.

(١٠٩) الحايك، **العلاقات الدولية**، ج١، ص١٠٩.

(١١٠) نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر أتابك الموصل، ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٢٥٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٣-٧.

(١١١) **التاريخ المنصوري**، ص٤٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٣-٧.

(١١٢) سنجار، مدينة مشهورة من أراضي ديار ربيعة، بينها وبين الموصل مسيرة ثلاثة أيام، ابن حوقل، محمد بن علي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٩٩؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٢٦٢.

(١١٣) **التاريخ المنصوري**، ص٤٠.

(١١٤) **التاريخ المنصوري**، ص٤٠-٤١؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٦-١١.

(١١٥) **التاريخ المنصوري**، ص١٣؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٤٨-٤٩.

عن ولائه العادلي وعاود بولائه الصلاحي. وكان صلح الملك العادل مع أبناء أخيه يؤثر سلباً في مصالح ابن المشطوب؛ ما جعل ابن المشطوب يسعى دائماً إلى زرع بذرة الخلاف بين البيت العادلي والصلاحي؛ لتستمر مصالحه الشخصية على حساب خلافاتهم وانقساماتهم.

وقد تغير حال ابن المشطوب عام٦٠٥هـ/١٢٠٩م، وذلك بعد وفاة عمه الأمير الجناح بن أحمد الهكاري(١١٦)، الذي كانت له عند ملوك البيت الأيوبي مكانة عالية؛ بحكم صلته بهم وخدمته لصلاح الدين الأيوبي، ويبدو أن ملوك البيت الأيوبي كانوا يلاطفون ابن المشطوب ويتغاضون عن أفعاله وولائه المتأرجح؛ إكراماً لعمه جناح الدين وجهود والده مع صلاح الدين الأيوبي، غير أن وفاة عمه غيرت حاله؛ فلم تعد المصادر تذكره، عدا عن أنه منح إقطاعية المجدل(١١٧) على نهر الخابور(١١٨).

عصيان ابن المشطوب في مصر، وتزامنه مع الحملة الصليبية الخامسة

تقف المصادر الإسلامية صامتة بعد عام٦٠٥هـ/١٢٠٩م في حديثها عن ابن المشطوب؛ إذ لم يعد له ذكر، ويبدو أن حاله تغير بعد استقرار حكم الملك العادل في بلاد الشام ومصر وإنهاء الخلافات مع أبناء أخيه صلاح الدين الأيوبي، فلم يعد له تأثير في إثارة الفتن أو الخروج على الملوك الأيوبيين أو استغلال خلافاتهم لصالحه، فضلاً عن أن عمه الجناح الذي كان يسانده في نوبات خروجه على ملوك بني أيوب قد توفي، فوقفت حاله، الأمر الذي جعل المصادر الإسلامية تقف صامتة في حديثها عنه بعد عام٦٠٥هـ/١٢٠٩م، وتؤكد أن ولاءه الأخير كان للملك الظاهر، الذي اقتطع له المجدل على نهر الخابور في الجزيرة الفراتية(١١٩)"ولم يزل وافر الحرمة إلى أن كانت سنة دمياط"(١٢٠).

وقد عادت المصادر الإسلامية تتحدث عنه في أحداث عام ٦١٥هـ/١٢١٩م؛ فذكرت ولاءه للملك الكامل في مصر، ولم توضح المصادر كيف ظهر هذا الولاء، كما أنها لم تحدد كيفية انتقاله من الجزيرة الفراتية إلى مصر. ولعلّ مرد هذا الولاء كلّه يعود إلى العلاقة الأولى التي كانت تربطهما معا عام٥٩٠هـ/١١٩٤م عندما أوكل لهما الملك العادل مهمة حصار ماردين(١٢١). وعندما ضاق الحال بابن المشطوب وكان الملك الكامل بحاجة إلى عساكر لمواجهة الفرنج الذين غزوا مصر، وهكذا تجددت العلاقات بينهما لحاجة كل منهما إلى الآخر، ولذلك لجأ ابن المشطوب

(١١٦) **التاريخ المنصوري**، ص٥٧؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٧٨.

(١١٧) **المجدل**، بلد تقع على نهر الخابور، أحد روافد الفرات من أراضي الجزيرة الفراتية، ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٥، ص٥٦.

(١١٨) **التاريخ المنصوري**، ص٦٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، جـ١، ص٧٨، ٩٥.

(١١٩) **التاريخ المنصوري**، ص٦٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، جـ١، ص٧٨، ٩٥.

(١٢٠) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥-٢٢٦.

(١٢١) **التاريخ المنصوري**، ص٦٠.

إلى الملك الكامل في مصر، وحسب عليه من أكابر أمراء دولته[١٢٢]، واستمرت مكانة ابن المشطوب مرموقة بين ملوك بني أيوب رغم ضيق حاله، حتى أعلن عصيانه للملك الكامل[١٢٣].

ويعد عصيان ابن المشطوب الملك الكامل من أبرز مراحل حياته؛ لأن هذا العصيان تزامن مع غزو الحملة الصليبية الخامسة على دمياط[١٢٤]، وقد برز هذا العصيان بعد أن علم ابن المشطوب بوفاة الملك العادل في جمادى الآخرة عام٦١٥هـ/أيلول ١٢١٨م[١٢٥]، "فضعفت نفوس الناس لأنه السلطان حقيقة، وأولاده وإن كانوا ملوكاً،إلاّ أنهم بحكمه والأمر إليه وهو ملّكهم البلاد"[١٢٦]، وبخاصة أن الملك الكامل وضع نصب عينيه مبدأ الاستقلال بالسلطة[١٢٧]، وهذا يؤكد أن ابن المشطوب عندما علم بوفاة الملك العادل أدرك أن الوضع سائر إلى ما آل إليه بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي من اختلافات وانقسامات بين الملوك الأيوبيين على السلطة، وكان ابن المشطوب قد عاش في خضمها وحاول استغلالها لتحقيق مصالحه الذاتية من غير مراعاة مصالح المسلمين وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الفرنجي.

ويعود ابن المشطوب ليكرر أطماعه ثانية في مصر؛ إذ لم يراع في عصيانه الملك الكامل خطر الفرنج الذي كان يحدق بالديار المصرية، ساعياً إلى تحقيق مكاسب ومغانم حكم، وإشباع رغباته ونزعاته الانفصالية على حساب المسلمين بالوصول إلى السلطة. لذا، فقد شكّل عصيانه خطراً واضحاً على الجبهة الداخلية لعساكر الملك الكامل، مستغلاً أن أغلب عناصر العساكر من الأكراد، وابن المشطوب ملكهم؛ وأحد قادة عساكر الملك الكامل[١٢٨].

استغل ابن المشطوب مكانته وسيادته للأكراد، وبدأ يؤثر في الأمراء والعساكر ممن يطيعونه[١٢٩] فاجتمع بهم في خيمته، وأخذ يستميلهم إلى جانبه طمعاً بالملك الكامل[١٣٠]، فاستمال

(١٢٢) الذهبي، **تاريخ الإسلام (**٥٨١-٥٩٠)، ص٣٠٣ وحوادث (٦١١-٦٢٠)، ص٢٧؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٣.

(١٢٣) **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨.

(١٢٤) الحملة الصليبية الخامسة، دعا إليها البابا أنوسنت الثالث، ومن ثم البابا هونوريوس الثالث؛ بهدف تعويض الخسارة التي منيت بها الحملة الصليبية الرابعة بعد توجهها إلى القسطنطينية، وقد وصلت مراكب الحملة إلى المشرق عام (٦١٥هـ/١٢١٨م) بقيادة بلاجيوس مندوب البابا، وكان نزولهم في مدينة عكا، ومن ثم زحفوا إلى دمياط في مصر لتنفيذ الفكرة التي بدأت تراود الغرب الأوروبي، وهي القضاء على المورد العسكري والاقتصادي للأيوبيين إذا ما تم الاستيلاء على مصر، انظر أولفر أوف بادربورن، **الاستيلاء على دمياط**، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ج٣٣، ص٢٨-١١٦؛ رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج٣، ص٢٥٩-٢٦١.

(١٢٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ الداوداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩؛ أبو الفدا، **المختصر**، ج٢، ص٢١٤، **تاريخ ابن سباط**، ج١، ص٢٦٦. **العسجد المسبوك**، ص٣٦٢، ٣٦٣؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(١٢٦) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦.

(١٢٧) ابن خلكان، **وفيات**، ج٥، ص٧٩؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠.

(١٢٨) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٧٥. الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩.

(١٢٩) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠)، ص٢٧.

(١٣٠) ابن العميد، المكين جريس (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م) **أخبار الأيوبيين**، وكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص١١؛ ابن واصل، مفرج، ج٤، ص١٦؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٧؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤.

العديد من الأمراء[١٣١]، واتفق معهم على خلع الملك الكامل من السلطنة وتنصيب أخيه الملك الفائز سابق الدين إبراهيم سلطانا على مصر[١٣٢]، وقال لهم في الفائز: "هذا صبي خفيف ولا يأتينا منه خير"[١٣٣]، وكان يهدف من وراء ذلك إلى الوصول إلى السلطة من خلال التحكم في الملك الفائز وأمور الديار المصرية[١٣٤].

تسربت أخبار المؤامرة والعصيان إلى مسامع الملك الكامل، وهو مرابطٌ للفرنج بالعادلية؛ الضفة المقابلة لدمياط، فقصد المتآمرين ودخل عليهم مجتمعين وهم يحلفون بالمبايعة للملك الفائز بعد أن اتفقوا معه على خلع أخيه الكامل، غير أنهم تفرقوا حينما شاهدوه[١٣٥]، فما كان منه لاحقاً إلا أن أخذ يداريهم خشية من استثارة العساكر الموالين لهم[١٣٦]، ويعزو ابن العميد (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م) ذلك إلى سياسة الكامل وحلمه؛ إذ رأى أنه من الأولى مداراة ابن المشطوب، رأس الفتنة، والمجتمعين معه من الأمراء، "فسير إليهم وطيب قلوبهم وحمل إليهم الأموال وزاد في إقطاعاتهم"[١٣٧]؛ إذ كان يدرك طمعهم في الحصول على الأموال والإقطاعات، فحقق لهم رغباتهم؛ لإسكاتهم إلى حين يتدبر أمرهم بفرصة مواتية من جهة، ورغبة منه في عدم وصول المؤامرة إلى قادة الفرنج المرابطين أمامه واستغلال اضطراب عساكر المسلمين لصالحهم من جهة أخرى[١٣٨].

خرج الملك الكامل من خيمة المتآمرين إلى العادلية، حيث كان مرابطاً مع العساكر قبالة الفرنج، وصادف وصول الصاحب صفي الدين بن شكر[١٣٩] من مدينة آمد، وكان قد استدعاه

(١٣١) أبرز الأمراء الصلاحية، الأمير عز الدين الحميد والأمير أسد الدين الهكاري والأمير مجاهد الدين الوزيري، ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص١١ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(١٣٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٨؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦ ؛ ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠)، ص٢٧، ٣٤؛ أبو الفدا، **المختصر**، ج٢، ص٢١٤؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٣؛ **تاريخ ابن خلدون**، م٥، ص٣٩٩؛ **العسجد المسبوك**، ص٣٦٣.

(١٣٣) الدواداري، كنز الدرر، ج٧، ص١٩٩.

(١٣٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨، المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤.

(١٣٥) ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٧٩؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠؛ ابن تغري بردي، يوسف(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد حسن، ط١، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٢م، ج٦، ص٢٣٠.

(١٣٦) ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٧٩؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤؛ **العسجد المسبوك**، ص٣٦٣.

(١٣٧) ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١.

(١٣٨) ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٧٩؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٦، ص٢٣٠.

(١٣٩) صفي الدين بن شكر، كان يعمل وزيراً للملك العادل، وكان الملك العادل قد نقم عليه فنفاه إلى آمد، ولما توفي العادل كاتبه الملك الكامل للقدوم إليه، ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص١١؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق١، ص٥٥٨.

الكامل بعد وفاة والده، فتلقاه الكامل وأكرمه، وأوقفه على مؤامرة ابن المشطوب وعصيانه مع الأمراء، وتحريض العساكر، فشجعه ابن شكر وضمن له تحصيل الأموال اللازمة لتدبير الأمور(١٤٠)، ويبدو أنه حثه على الإسراع في استنجاد إخوته من بلاد الشام(١٤١).

وبالرغم من تشجيع ابن شكر للملك الكامل فإنه "خاف على نفسه" من ابن المشطوب(١٤٢)، فخرج ليلة الثلاثاء١٨ من ذي القعدة٦١٥هـ/٥ شباط ١٢١٩م من العادلية وبرفقته من يثق بهم من العساكر، وقصد أشموم طناح(١٤٣)، وعند بزوغ فجر ليلة الثلاثاء أصبحت العساكر فلم يجدوا السلطان، وأدركوا أنهم فقدوه(١٤٤)، فساد المعسكر الهرج، واضطربت أحوالهم وأصبحوا في وضع لا يحسدون عليه، "وركب كل إنسان منهم هواه، ولم يقف الأخ مع أخيه، ولم يقدروا على أخذ شيء من خيامهم وذخائرهم وأموالهم وأسلحتهم إلا اليسير الذي يخفّ حمله، وتركوا الباقي بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل"(١٤٥).

وتُجمع المصادر الإسلامية المعاصرة والمتأخرة على أسباب عصيان ابن المشطوب ومؤامرته وأحداثها، ويوافقها الرأي المؤرخ النصراني ابن العميد (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م) والمؤرخ السرياني ابن العبري(ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)(١٤٦)؛ غير أن تاريخ هرقل، المصدر اللاتيني المعاصر، يذكر أن سبب المؤامرة ما قام به الملك الكامل من استدعاء ابن المشطوب وبعض الأمراء الأكراد وحثهم على الدخول إلى دمياط بسبعمائة فارس؛ للدفاع عنها؛ لأن الملك الكامل يثق بهم، غير أن ابن المشطوب أدرك خطورة ما طلبه الكامل منه جراء التجربة التي مر بها والده عندما طلب منه صلاح الدين الدخول مع قواته إلى عكا للدفاع عنها، أمام حصار القوات الفرنجية، ويشير تاريخ هرقل إلى أن صلاح الدين أهمل مهمة الدفاع عن عكا، الأمر الذي أوقع المشطوب أسيراً بيد

(١٤٠) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٥٩٨؛ ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٦٠، المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(١٤١) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٨؛ ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١؛ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٤.

(١٤٢) ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٨؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص١٣٤.

(١٤٣) أشموم طناح، بلدة بالقرب من دمياط وتعرف باسم أشمون، وهي مدينة الدقهلية، وتعد قصبة لكورة من كور الصعيد الأدنى، ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٠٠؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٧٩؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩.

(١٤٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ ابن العبري، جمال الدين(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) **تاريخ الزمان**، ترجمة الأب إسحق أرملة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥٣؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (٦١١-٦٢٠)، ص٢٧، ٣٤؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(١٤٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ لنظر ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠)، ص٢٧؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٣؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٩؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٢٤٩؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(١٤٦) ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٢٥٣.

الفرنج، ولذلك عبر ابن المشطوب بأنه لا مانع لديه من دخول المدينة ولكن عليه أن يتخلص من تكرار الخطأ الذي وقع به والده، فطالب الملك الكامل أن يرسل معه أحد أبنائه ليهتم بالمدينة ولا يهمل الدفاع عنها(١٤٧).

ويؤكد تاريخ هرقل أن تصرف ابن المشطوب أغضب الملك الكامل، ودفعه إلى الاجتماع بالأمراء والعساكر، فاعتقد ابن المشطوب أن الملك الكامل اجتمع مع الأمراء بنية إلقاء القبض عليه، فقام بتحريض أتباعه من الأمراء وعساكرهم، وأكد لهم أنه يفضل الموت وهو يقاتل على أن يقبض عليه ويذل أتباعه من بعده، ويشير تاريخ هرقل إلى أن كلاً منهما خشي الآخر وأخذ يتجهز للقتال، إلا أن ابن المشطوب هرب من غير أتباعه، وكذلك خرج الملك الكامل من معسكره من غير أن يشعر به أحد(١٤٨).

ولكن لا يمكن اعتماد الرواية اللاتينية عن أسباب عصيان ابن المشطوب على الملك الكامل، ويمكن تفنيدها واعتماد ما ورد في المصادر الإسلامية عن أسباب العصيان.

- فالمصادر الإسلامية المعاصرة، مثل ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٤م) وسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) وأبو شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) وابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) تؤكد جميعها أن أسباب العصيان والمؤامرة تجسدت في خلع الملك الكامل من السلطنة وتنصيب أخيه الفائز إبراهيم؛ ليصير الأمر في حكم البلاد لابن المشطوب ومن معه من الأمراء(١٤٩).
- ويؤيدهم بهذا الرأي المؤرخ النصراني ابن العميد (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) والمؤرخ السرياني ابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) المعاصران للأحداث(١٥٠).
- والمصادر العربية الإسلامية المتأخرة كالصفدي (٧١٧هـ/١٣١٧م) والنويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) والدواداري (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) والذهبي (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) وابن كثير (ت٧٧٤/١٣٧٣م) وابن الفرات (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) والمقريزي (ت٨٤٥/١٤٤٢م) وابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) تؤكد ما جاء في المصادر المعاصرة للمؤامرة والعصيان(١٥١). ولو كان هناك أسباب أخرى في المصادر المعاصرة ولم تصلنا لكانت المصادر المتأخرة قد اطلعت

(١٤٧) *Eracles, l'Estoire de Eracles Emperur et la Conquette de la Terre d'outremer, in Recuel Des Historiens des Croisades Historers Orientaux, paris,1859, vol.11,p.335.*

(١٤٨) *Eracles, L'Estoire de Eracles, in R.H.C-H.O., vol.11,p.335*

(١٤٩) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق١، ص٦٠٢؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٨؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص ٧٩ - ٨٠ ؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧.

(١٥٠) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٢٥٣.

(١٥١) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٧؛ الدواداري، كنز الدرر، ج٧، ص١٩٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠) ص٢٧، ٣٤؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٢، ص١٢٧-١٢٨؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٣؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٨؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٦، ص٢٣٠.

عليها وأشارت إليها، غير أنها ذكرت ما جاء في المصادر المعاصرة وأكدته.

- والمؤرخ سبط ابن الجوزي كان معاصرا لأحداث مؤامرة ابن المشطوب، وكانت له مكانة مرموقة بين ملوك بني أيوب، وتحديداً عند الملك المعظم عيسى، تخوله للاطلاع على أسرارهم ومراسلاتهم، وبخاصة أنه كان يعمل سفيراً بينهم(١٥٢) وكان يتمتع بجرأة واضحة في نقد ملوك عصره(١٥٣) ومع ذلك لم يذكر أي سبب لعصيان ابن المشطوب غير الذي أشار إليه في كتاباته.
- وتؤكد نزعة ابن المشطوب الانفصالية وسيرته وشخصيته المستغلة للمواقف التي يحدث عنها خلافات وانقسامات بين ملوك بني أيوب، أن ما ورد في المصادر الإسلامية الأولية عن أسباب عصيانه للملك الكامل صحيحة.
- ما ذكره تاريخ هرقل عن إهمال صلاح الدين في الدفاع عن عكا ليس له مكان من الصحة؛ لأن صلاح الدين لم يتوان عن الدفاع عن عكا، واستمر مرابطاً في أرض فلسطين حتى بعد سقوط عكا بيد الفرنج وأسرهم للأمير سيف الدين المشطوب(١٥٤) ولو شعر الأمير سيف الدين المشطوب أن هناك تخاذلا من صلاح الدين في الدفاع عن عكا لما ذهب إليه في القدس بعد أن أطلق سراحه من الأسر وجالسه، ولما عبر عن ولائه له وانتمائه إلى السلطان ونصرته للإسلام(١٥٥) الأمر الذي يبطل ما ذكره تاريخ هرقل عن تخاذل صلاح الدين في الدفاع عن عكا.
- أما ما أشار إليه تاريخ هرقل بأن الملك الكامل وعسكره وابن المشطوب ورجاله قد استعد لقتال كل طرف منهما لقتال الآخر، ثم هربا، فإن التساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو ما المبررات التي دفعتهما إلى الهروب ما دام أن أتباعهما استعدوا للقتال في سبيل نصرة كل منهما سيده؟ وهذا ما يؤكد تناقض رواية تاريخ هرقل واستبعادها.

ومهما تكن أسباب عصيان ابن المشطوب، فقد أثرت سلبا في قوة تحمل الملك الكامل وجلادته وصبره على مواجهة الفرنج، وأضعفت نفوس العساكر المرابطة وبثت فيهم روح الهزيمة، وأضعفت نفوس المسلمين من أهالي دمياط جراء تشديد الحصار عليهم من قبل الفرنج(١٥٦). ويذهب سبط ابن الجوزي إلى أن مؤامرة ابن المشطوب أثارت العساكر على الملك الكامل وجعلته

(١٥٢) انظر علاقة سبط ابن الجوزي بملوك بني أيوب، القطامين، عاليا، **سبط ابن الجوزي مؤرخاً للحروب الصليبية**، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨، ص٢٠-٢٥.

(١٥٣) انظر كيف انتقد سبط ابن الجوزي الملك المعظم عيسى عندما أعاد فتح الخمارات، وكيف انتقد الملك الكامل عندما سلم بيت المقدس للإمبراطور فردريك II، سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٥٩٧.

(١٥٤) انظر حصار عكا، العماد الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص٢٦٩؛ ابن شداد، **النوادر**، ص٢٥٢-٢٦٢؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٢٨.

(١٥٥) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص٣٠٧؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٦، ص٦٤١.

(١٥٦) المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥.

يفكر جديداً بترك الديار المصرية بيد الفرنج والخروج إلى اليمن[١٥٧] ويرى الداوادري بأنها كسرة عظيمة حلت بالعساكر المصرية[١٥٨]، ووصفت "بالخطب الجسيم"[١٥٩].

وقد قويت شوكة الفرنج، فحاصروا دمياط وشددوا الخناق عليها، "فضعف أهلها بسبب الفتنة التي حصلت في عسكر الملك الكامل"[١٦٠]؛ ولم تكن تحركات عساكر الملك الكامل خافية على الفرنج، وبخاصة أن ليلة١٨من ذي القعدة الشهر العربي ليلة قمرية تمكّن الفرنج من رؤية المعسكر الإسلامي وتحركاتهم، غير أنهم لا يعرفون أسباب هذه التحركات. وفي صبيحة يوم الثلاثاء ١٨من ذي القعدة ٦١٥هـ/٥ شباط ١٢١٩م لم ير الفرنج عساكر المسلمين على شاطئ النيل مرابطين كعادتهم[١٦١]، وبعد أن علموا حقيقة الأمر من عيونهم[١٦٢] عبروا "بر دمياط (العادلية) آمنين بغير منازع ولا مانع... فغنموا ما في عسكر المسلمين، فكان عظيماً يعجز العادين، وملكوا الجميع من غير تعب ولا مشقة"[١٦٣].

وقد فسحت حركة ابن المشطوب للقبائل العربية المجال في التمادي على البلاد المجاورة لدمياط، مستغلين الوضع الذي آلت إليه المنطقة جراء العصيان، فنهبوا البلاد، وقطعوا الطريق، وافسدوا وبالغوا في الإفساد، فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج"[١٦٤].

وعدت حركة ابن المشطوب "أضر شيء على أهل دمياط"، حيث تركها الملك الكامل والعساكر من غير دفاع، وأشغلتهم الحركة من الدفاع عنها[١٦٥]، فانقطع عن أهلها من كان يدخل إليهم من المسلمين؛ لجلب الأخبار، وقلت عندهم القوت[١٦٦]، وارتفعت الأسعار حتى بلغ الأردب من القمح بثلاثة دنانير[١٦٧]، وقطع الدمياطيون رجاءهم من المساعدة[١٦٨] "بسبب حركة ابن المشطوب ونيته

(١٥٧) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٨ ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠)، ص٣٤.

(١٥٨) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩.

(١٥٩) ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٣.

(١٦٠) أبو الفدا، **المختصر**، ج٢، ص٢١٤.

(١٦١) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٨؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٩.

(١٦٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦.

(١٦٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٦-٣٧٧؛ ا لنظر بن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٨؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (٦١١-٦٢٠)، ص٢٧؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٤٩؛ **تاريخ ابن خلدون**، م٥، ص٣٩٩؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٤.

(١٦٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٧؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٨؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠)، ص٢٧؛ ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٧٤.

(١٦٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٧؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص٢٠٠.

(١٦٦) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص٢٠٠.

(١٦٧) ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١٢.

(١٦٨) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٢٥٣.

الرديئة"[١٦٩] في تغيير الدولة الكاملية[١٧٠]. فأحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها براً وبحراً، واستمر حصارهم لها إلى يوم الخميس ٢٧ شعبان ٦١٦هـ/٧ تشرين ثاني ١٢١٩م، حتى تعذرت الأقوات عند أهلها وسئموا القتال مع الفرنج؛ فخرج أهلها وسلموها بالأمان[١٧١].

وباستيلاء الفرنج على دمياط تم ترسيخ الاستراتيجية الصليبية في الاستيلاء على مصر، ويقول ابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) في أهمية التوجه الصليبي لمصر: "إن الملك الناصر صلاح الدين إنما استولى على الممالك (الصليبية) وأخرج القدس والساحل من أيدي الفرنج بملكه ديار مصر وتقويته برجالها، فالمصلحة أن نقصد مصر أولاً ونملكها. وحينئذ لا يبقى لنا مانع من أخذ القدس وغيرها من البلاد"[١٧٢]، وأضاف ابن واصل قائلاً: "واشتد طمع الفرنج حينئذٍ في ملك الديار المصرية، وظنوا أنهم يملكون بملكها البيت المقدس وسائر بلاد الشام"[١٧٣]. وقد أشار إلى مثل ذلك زعيم فرسان المعبد في رسالة وجهها من عكا سنة٦١٤هـ/١٢١٧م إلى البابا هونوريوس الثالث، حيث قال: "الطريق إلى القدس تأتي عبر دمياط"[١٧٤].

وبينما كان الملك الكامل عازما على ترك الديار المصرية إلى اليمن بعد أن ضاق به الحال ويئس من البلاد، وإذ بقدوم أخيه المعظم عيسى من الشام[١٧٥] صبيحة يوم الأربعاء ١٩ ذو القعدة ٦١٥هـ/٦شباط١٢١٩م[١٧٦]، فاستقبله الملك الكامل باكياً وتعانقا، وشكا له أمر ابن المشطوب وأفعاله[١٧٧]. وبوصول الملك المعظم "قوي قلب أخيه الملك الكامل، واشتد به أزره"[١٧٨]، وأخذ المعظم يشجع الملك الكامل ويثنيه عن رأيه واعداً إياه " بإزالة جميع المفاسد"[١٧٩].

أدرك الملك المعظم عيسى خطورة ما قام به ابن المشطوب؛ فحاف ألاّ ينزل عن فرسه حتى

(١٦٩) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص٢٠٠.

(١٧٠) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٢٨.

(١٧١) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٧؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٢٥٣؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨؛ بخصوص حصار الفرنج لدمياط، انظر اولفر أوف بادرمورن، **الاستيلاء على دمياط** (الموسوعة الشامية)، ج٣٣، ص٤٠-٩٤.

Eracles, L'Estoire de *Eracles, in R.H.C-H.O,vol.11,p.337-338.*

(١٧٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٢٥٨.

(١٧٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص٣٣.

(١٧٤) Rober Payne: Die Kreuzzuge Benziger Verlag Zurich Koln, 1986,P.318.

(١٧٥) **التاريخ المنصوري**، ص٧٧، سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١٢؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥.

(١٧٦) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٧٧؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧.

(١٧٧) **التاريخ المنصوري**، ص٧٧؛ ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١٢؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠، ٢٥١؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(١٧٨) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٨؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠.

(١٧٩) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٧-١٨؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠، المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥.

ينهي أمر ابن المشطوب ويخرجه منفياً خارج الديار المصرية، وأدرك المعظم أن اتخاذ أي إجراء مع ابن المشطوب قد يثير العساكر المصرية عليه؛ لأن أغلبها من الأكراد وابن المشطوب أميرهم وسيدهم(١٨٠)؛ فاستخدم الحنكة والحيلة في التغلب على الموقف لمنع حدوث أية إثارة للفتن داخل العساكر المصرية.

توجه الملك المعظم مساء إلى خيمة ابن المشطوب وأوهمه بأنه يريد رأيه في أمر البلاد المصرية، وطلب الملك المعظم منه الركوب على العجل(١٨١)، قائلاً له: "اركب والحقني، حتى نتفق على أمر تكون فيه المصلحة، فرأيك المبارك"(١٨٢)، فاستمهله ابن المشطوب للبس خفّيه وملاءته، فلم يمهله الملك المعظم(١٨٣)، واعتقد ابن المشطوب تحت هذا الإصرار، أن الملك المعظم يريد امتلاك الديار المصرية، وأنه يريد الاتفاق معه لانتزاع السلطنة من الكامل(١٨٤)، فركب ابن المشطوب حافياً من غير خف ولم يحمل سيفه لعجلته(١٨٥)، وأخذ الملك المعظم يحادث ابن المشطوب حتى أبعده عن أتباعه وأنصاره(١٨٦)، وكان الملك المعظم قد اتفق مع خمسين مملوكاً بإمرة عشرة رجال من بني أيوب، وأوكل إليهم مهمة اللحاق به خلسة، وبعد أن تيقن المعظم ابتعاده عن العساكر التفت إلى ابن المشطوب، وقال له:"يا عماد الدين! هذه البلاد لك ونشتهي أن تهبها لنا"(١٨٧)، فأدرك ابن المشطوب خطورة موقفه وبخاصة بعدما شاهد مماليك الملك المعظم ورجاله، فقال: "أنا مملوك بني أيوب"، فقال له الملك المعظم "نحن ما عدنا نريدك أن تبلى بغيرنا ولا تبلى بنا"(١٨٨). اذهب من الساعة إلى الملك الأشرف في الجزيرة الفراتية فإنه طالب بقدومك إليه لأنه بحاجة إليك. وقد حاول ابن المشطوب التعذر من الذهاب مباشرة والعودة إلى خيمته لإحضار نعله وملابسه وغلمانه ثم يذهب(١٨٩). فقد كانت مناورة منه للعودة إلى أتباعه

(١٨٠) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩.

(١٨١) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٨٠؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٨؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠.

(١٨٢) ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٨٠؛ انظر الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩ ؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.

(١٨٣) أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠)، ص٣٤؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥.

(١٨٤) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩.

(١٨٥) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١٢٦، الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩.

(١٨٦) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠؛ المقريزي؛ **السلوك**، ج١، ص٣١٥.

(١٨٧) ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٨٠؛ انظر الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٨؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٠.؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٦، ص٢٣١.

(١٨٨) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩.

(١٨٩) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠)، ص٣٤.

وإعلامهم بحقيقة الأمر، غير أن هذه الحيلة لم تنطو على الملك المعظم، فلم يكن أمام ابن المشطوب سبيلاً للاعتراض أو المقاومة لأنه كان وحيداً، فأمر الملك المعظم مماليكه ملازمته وإبعاده عن الديار المصرية ونفيه عن طريق الصحراء إلى غزة من بلاد الشام(١٩٠)، وأعطاهم خمسمائة دينار نفقات الطريق، وتعهد لابن المشطوب بإلحاق جميع أمتعته وأمواله وغلمانه، وأنه سيشرف عليها بنفسه. ويؤكد سبط ابن الجوزي أن المعظم عاد إلى خيمة ابن المشطوب، "وأشرف على تجهيز خيله وغلمانه، ولم يبق له خيطٌ واحد، وساروا خلفه"(١٩١).

كان لإجراء نفي ابن المشطوب أثر واضح في تغيير نفسية الملك الكامل وثباته والعزوف عن ترك الديار المصرية، ولذلك تقدم على أخيه المعظم، "وقبل الأرض بين يديه"(١٩٢) واتخذ الملك المعظم عيسى إجراء آخر، فقد كلف أخاه الملك الفائز باسم الملك الكامل قصد الشام لإحضار النجدات بحجة الجهاد، ويضمر بداخله إخراج الملك الفائز من الديار المصرية لتصفية أمر الأمراء المتآمرين معه من العساكر(١٩٣). وكان الملك الفائز عندما علم بأمر ابن المشطوب خشي على نفسه من سطوة المعظم، فلما طلب منه التوجه إلى بلاد الشام امتثل للأمر مطيعاً(١٩٤).

وبإخراج ابن المشطوب والملك الفائز من العسكر الكامل، انتظم أمر السلطان الملك الكامل وقوي جناحه"(١٩٥)"وثبت ملكه"(١٩٦) وانتظم له أمر السلطنة(١٩٧). وتحللت عزائم من بقي من الأمراء الموافقين لابن المشطوب، وأذعنوا بالولاء والطاعة للملك الكامل كرهاً لا طوعاً، وحقيقة الأمر أن الملك الكامل لم يتخذ معهم أي إجراء في أثناء وجود الفرنج لأنه خشي إثارتهم، ولكن بعد أن استقر له الأمر، أمر بنفيهم من الديار المصرية؛ بهدف تشتيتهم وشرذمتهم؛ رغبة منه في عدم تكرار نوايا ابن المشطوب، وذلك بعد أن جردهم من إقطاعاتهم وأخبازهم ووزعها على أتباعه من الأمراء(١٩٨).

(١٩٠) أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦، ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٨٠؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨، ١٩؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ أبو الفدا، **المختصر**، ج٢، ص٦١٥؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص١٩٩؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠١.

(١٩١) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٨٠؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥.

(١٩٢) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢، أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام (**٦١١-٦٢٠)، ص٣٤.

(١٩٣) ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١١؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥١؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠١؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٦، ص٢٣١.

(١٩٤) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٨٠.

(١٩٥) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨؛ أبو الفدا، **المختصر**، ج٢، ص٢١٤؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥١.

(١٩٦) الدواداري، **كنز الدرر**، ج٧، ص٢٠٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥١؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥.

(١٩٧) ابن سباط، حمزة بن أحمد(ت٩٢٦هـ/١٥١٢م) **صدق الأخبار(تاريخ ابن سباط)**، تحقيق عمر تدمري، ط١، جروس- برس، بيروت، ١٩٩٣م، ج١، ص٢٦٦.

(١٩٨) ابن العميد، **أخبار الأيوبيين**، ص ١٢؛ ابن خلكان، **وفيات**، م٥، ص٨٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٦، ص٢٣١.

عصيان ابن المشطوب في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ونهايته

وصل ابن المشطوب منفياً إلى بلاد الشام مجرداً من جميع أمواله وبرفقته أربعة أنفار فقط[١٩٩]، فمر بدمشق[٢٠٠] وقصد حماة وأقام بها[٢٠١]، فأكرمه صاحبها الملك المنصور[٢٠٢]، إلاّ أن الأحقاد كانت تملأ قلبه على أبناء الملك العادل -الكامل، المعظم، الأشرف- ولذلك استمرت فكرة العصيان تراوده بالخروج على ملوك بني أيوب، ولكنه اتخذ منهجاً جديداً في عصيانه اعتمد فيه على مهاجمة بلدان ملوك بني أيوب، بقصد السلب والنهب وإثارة الفوضى، ولم يعتبر مما حدث لأهل دمياط وضياع المدينة بيد الفرنج، وتشرذم عساكر المسلمين جراء حركة عصيانه على الملك الكامل.

استمرت فكرة العصيان تراود ابن المشطوب لا بل زادت حنقاً جراء نفيه من الديار المصرية إلى بلاد الشام بطريقه غير لائقة، فأراد الانتقام، وبمجرد وصوله إلى حماة حشد جموعاً من أتباعه الأكراد، وأرباب الفساد، واتصل مع الملك المنصور صاحب حماة وتحالف معه على مهاجمة أراضي الملك الأشرف في حلب، والخروج عليه، فزوده الملك المنصور بالمال والرجال[٢٠٣] وكاتب ابن المشطوب الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي والأمير عز الدين كيكاوس[٢٠٤] صاحب بلاد الروم[٢٠٥]. واتفق معهم على العصيان ومهاجمة أراضي حلب وتسليمها للملك الأفضل، وقد حدد ابن المشطوب ربيع عام ٦١٦هـ/١٢١٩م موعداً لمهاجمة أراضي حلب، مستغلاً فرصة غياب خيول الأجناد وتفرقهم، فقصد مدينة قنسرين[٢٠٦] بسبعمائة فارس[٢٠٧] وألف راجل، وبرفقته قاضي حماة نجم الدين أبو البركات ابن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون، وكان ابن المشطوب قد أوهمه بأنه سيسلم له البلاد التي سيستولي عليها ولن يخرج عن رأيه[٢٠٨]،

(١٩٩) **التاريخ المنصوري**، ص٧٧؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥١.

(٢٠٠) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩.

(٢٠١) **التاريخ المنصوري**، ص٧٧؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٢؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٩؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦، ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص١٨، ٢٩؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩؛ **تاريخ ابن الفرات**، م٥، ج١، ص٢٥٠، ٢٥١؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٥ ؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠١.

(٢٠٢) الملك المنصور، ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماه، زوج بنت الملك العادل توفي (٦١٧هـ/١٢٢٠م) المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٢٤؛ أبو الفدا، **المختصر**، ج٢، ص٢٢٠.

(٢٠٣) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٩؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٢٩؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٧.

(٢٠٤) عز الدين كيكاوس بن كيخسر بن قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم، ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٨٨؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٧.

(٢٠٥) ابن الثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٨٨؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٩؛ ابو شامة، **تراجم**، ص١٢١؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٢٩.

(٢٠٦) قنسرين، مدينة تقع بالقرب من حلب بينهما مسيرة مرحلة وتنسب الكورة إليها، وتعد من مدن العواصم، انظر ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤٠٣-٤٠٤؛ ابن شداد، **الأعلاق**، ج١، ق٢، ص١٠-١١.

(٢٠٧) **التاريخ المنصوري**، ص٧٧-٧٨؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣١٧.

(٢٠٨) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٢٩.

وأوكل إليه مهمة حفظ الوثائق التي تضمنت تواقيع الأمراء والملوك الذين تآمروا معه على الأشرف، ومراسلاتهم له[٢٠٩]. ثم قصد إلى تل أعرن[٢١٠] وبلدة الساجور[٢١١] وكان يدمر المناطق بعد أن يستاق خيولها وأغنامها ويستولي على محاصيلها[٢١٢].

وعندما علم الملك الأشرف بأمر ابن المشطوب، راسله للامتناع عما يقوم به، متعهداً له بإقطاعه بعض البلاد، فامتنع ابن المشطوب وأصر على عصيانه[٢١٣] فأرسل الملك الأشرف في أثره العساكر، فلحقوا به على بلدة الساجور، فقبضوا عليه وبرفقته القاضي ابن عصرون وأرسلوهما إلى الملك الأشرف[٢١٤]. أدرك الملك الأشرف وضع ابن المشطوب الذي صار إليه بعد نفيه من مصر، فأراد أن يخفف عنه آثار نفيه ويرد اعتباره أمام حاشيته وأتباعه من الأكراد، ويعوضه عما خسره، ويكون بذلك قد كسب الملك الأشرف ولاءه وتخلص من محاولات عصيانه. وبخاصة أن وضع الملك الأشرف عسكرياً لم يكن بالمستوى الذي يضع حداً لعصيان ابن المشطوب إذا ما سولت إليه نفسه بالعصيان؛ وذلك لأن عساكر الملك الأشرف كانت متفرقة؛ فضلاً عن أن أعالي الجزيرة الفراتية من شمال بلاد الملك الأشرف كانت تعاني هجوماً عسكرياً وكان الملك الأشرف بحاجة إلى العساكر. ولذلك رأى استرضاء ابن المشطوب واستمالته بهدف الإفادة من أتباعه الأكراد[٢١٥].

أحسن الملك الأشرف لابن المشطوب ورفع من مكانته وأقطعه مدينة رأس عين الخابور[٢١٦] وملكه بلدة زليبا[٢١٧]، حتى أصبح سلطانه يوازي سلطان الملك الأشرف في البلاد[٢١٨]، ويذكر النويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ان ابن المشطوب أصبح يخرج في كل صباح وهو راكب فرسه و"يمشي مشي الملوك"[٢١٩] وهذا ما أراد الوصول إليه من حركات عصيانه، والنويري عبر عما بداخل ابن المشطوب من نوايا ورغبات في تأسيس ملك لا يقل أهمية واتساعا عن ملك أبناء البيت الأيوبي.

(٢٠٩) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧٦-٧٧.

(٢١٠) تل أعرن، قرية في جبل الأحص، تبعد 5كم عن بلدة السفير من أعمال حلب، ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٩.

(٢١١) الساجور، نهر بناحية منبج، وتقع عليه بلدتي عينتاب وتل باشر شمال شرق حلب، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص١٧٠، ابن شداد، **الأعلاق**، ج١، ق٢، ص٢٣.

(٢١٢) **التاريخ المنصوري**، ص٧٨؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٤٩، ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٢٩-٣٠؛ **تاريخ ابن الفرات**، م5، ج١، ص٢٥١.

(٢١٣) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٢٩.

(٢١٤) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٥٠؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٣٠.

(٢١٥) أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦.

(٢١٦) **التاريخ المنصوري**، ص٧٨؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٥٠؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٣٠.

(٢١٧) **التاريخ المنصوري**، ص٧٨؛ لم أقف على موقع بلدة زليبا، ولعلها قريبة من اقطاع ابن المشطوب في رأس عين الخابور.

(٢١٨) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٣. أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦.

(٢١٩) النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩.

أقام ابن المشطوب بجوار الملك الأشرف وهو على هذه الحال من الجاه والعظمة حتى انقضى شهر شعبان من عام٦١٦هـ/١٢١٩م؛ وبعد أن اطمأن الأشرف على وضع ابن المشطوب، قصد بلدان الجزيرة الفراتية الشرقية لضبط الأمور فيها(٢٢٠).

لم يكن ابن المشطوب قادراً على التخلي عن نزعة العصيان لديه. لذا، راودته نفسه مرة أخرى بالعصيان؛ من غير أن يراعي أية حرمة أو اعتبار للملك الأشرف، الذي احتضنه وحقق له مبتغاه في تأسيس ملك بعد أن ضاقت السبل فيه وآواه وأكرمه بعد أن نفاه الملك المعظم والملك الكامل من مصر(٢٢١). ولم تدم إقامة ابن المشطوب طويلاً في رأس عين الخـ ـابور حتى "تجبر وطغى وبغى"(٢٢٢) نهاية عام ٦١٦هـ/١٢١٩م. وكاتب مظفر الدين ابن كيكاوس صاحب بلاد الروم(٢٢٣) على العصيان، فأجابه مظفر الدين لما كان يعلم ما يجول في نفس ابن المشطوب من الغدر والفساد(٢٢٤) فأرسل له مائة وأربعة آلاف درهم(٢٢٥). وكان صاحب ماردين(٢٢٦) قد راود ابن المشطوب بعصيان الملك الأشرف، وانضم إليهم صاحب آمد(٢٢٧) واستمال ابن المشطوب غيرهم من الأمراء الموالين للملك الأشرف، إلا أن هذا التحالف انحل وذهب كل منهم إلى وجهته(٢٢٨)، من غير أن توضح المصادر الأولية الأسباب، غير أن ابن المشطوب حشد أتباعه من الأكراد وأراد العصيان(٢٢٩) والعودة إلى بلاد أجداده، فسلّم رأس عين خابور لصاحب ماردين مقابل إقطاعه أرجيش(٢٣٠) من نواحي أرمينية(٢٣١)، ثم قصد نصيبين(٢٣٢) وبنيته الذهاب إلى إربل(٢٣٣).

(٢٢٠) ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٥٠، ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٣٠.

(٢٢١) ابن كثير، **البداية**، ج١٧، ص٩٨-٩٩.

(٢٢٢) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٣. أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦.

(٢٢٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٨٨.

(٢٢٤) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧١

(٢٢٥) أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦.

(٢٢٦) صاحب ماردين، الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن ايلغازي الأرتقي، من أمراء الأراتقة في ديار بكر، ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧٣.

(٢٢٧) صاحب آمد، الملك الصالح نور الدين محمود بن محمد الأرتقي من أمراء الإمارات الأرتقية في ديار بكر، ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧٣.

(٢٢٨) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٨٨؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧١؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩

(٢٢٩) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٣، ٦٠٨-٦٠٩؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٥١؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦، ١٢١؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧٠-٧١.

(٢٣٠) أرجيش، مدينة من نواحي أرمينية قرب خلاط، ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص١٤٤.

(٢٣١) **التاريخ المنصوري**، ص٧٨-٧٩؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧٣.

(٢٣٢) نصيبين، مدينة عامرة من بلاد الجزيرة الفراتية تقع على طريق القوافل بين الموصل والشام، ويعدها ابن شداد قصبة ديار ربيعة، وتكثر فيها الينابيع والبساتين، ابن شداد، **الأعلاق**، ج٣، ق١، ص٥، ١٢٤؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٨٨.

(٢٣٣) ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧١؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص ٢٥٩؛ إربل، تقع شمال شرق العراق إلى الجنوب

علم الملك الأشرف بنوايا ابن المشطوب، فأرسل هذه النوبة عساكره في أثره إلى سنجار[٢٣٤]، فاعترضته عساكر الملك الأشرف وقاتلته وألحقت الهزيمة به وشتت أتباعه، فقصد سنجار فسير عليه صاحبها فروخ شاه[٢٣٥] عساكره فهزمه وأسره، لكن ابن المشطوب استجار به، فأجاره ورفض تسليمه للملك الأشرف. ولم يقف الأمر على ذلك، فقد استطاع ابن المشطوب أن يؤثر في الأمير فروخ شاه ويتحالفان معاً ضد الملك الأشرف، فقصدا أعمال الموصل وتلعفر[٢٣٦]. فخرج إليهما بدر الدين لؤلؤ[٢٣٧] صاحب الموصل بأمر من الملك الأشرف فوجدهما في تلعفر، فحاصرهما يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الأول عام ٦١٧هـ/٢٦ ايار١٢٢٠م، وأخذ لؤلؤ يخادع ابن المشطوب ويراسله حتى أذعن بالانقياد، وحلف له لؤلؤ باستجارته، فاستولى لؤلؤ على تلعفر يوم الأحد ١٧ربيع الآخر عام ٦١٧هـ/٢١ حزيران ١٢٢٠م وعاد إلى الموصل وبرفقته ابن المشطوب، فأقام بها ثلاثة أيام، ثم قبض عليه لؤلؤ، وأرسله إلى الملك الأشرف، ولم تعد تجدي شفاعة لؤلؤ بابن المشطوب نفعاً عند الملك الأشرف، فقد قيده وأرسله إلى سنجار وزجه في سجنها في صيف عام٦١٧هـ/١٢٢٠م[٢٣٨]، ثم نقل إلى قلعة حران[٢٣٩]، فألقاه حاجب السجن بأمر من الملك الأشرف في بئر[٢٤٠] وقيود الحديد والأثقال برجليه ويديه[٢٤١]، فساءت حاله من الجوع والقمل[٢٤٢]، ويذكر ابن خلكان، "كنت أسمع في وقته وأنا صغير"أنه "حصل في رأسه ولحيته

الشرقي من الموصل، ابن شداد، **الأعلاق**، ج٣، ق٢، ص٧٥٣.

(٢٣٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج ١٠، ص٣٨٨؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٣؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٥١؛ ابو شامة، **تراجم**، ص١١٦، ١٢١، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٥٩.

(٢٣٥) فروخ شاه، محمد بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي، ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص٣٨٨؛ ابن واصل، **مفروج**، ج٤، ص٣١، ٧١.

(٢٣٦) تلعفر أو تل أعفر، تل يعفر، قلعة وريض بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جار، وهي تقع على جبل عالٍ وتكثر فيها أشجار النخيل، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٣٩.

(٢٣٧) لؤلؤ، بدر الدين لؤلؤ مملوك أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن أق سنقر، صاحب الموصل، وأتابك داره والحاكم في دولته بعد أن تولى أصغر أبناء الملك أرسلان، توفي عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩ ابن خلكان، **وفيان**، م١، ص١٨٤؛ تاريخ ابن الفرات، م٥، ج١، ص١١١.

(٢٣٨) ابن الأثير، **الكامل**، ج ١٠، ص٣٨٨-٣٨٩؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص ٦٠٩؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٥١؛ ابو شامة، **تراجم**، ص١٢١؛ ابن خلكان، وفيان، م١، ص١٨١، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٧١-٧٢، ٧٦؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩؛ أبوالفدا، **المختصر**، ج٢، ص٢١٩.

(٢٣٩) **التاريخ المنصوري**، ص٧٩؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص٦٥٢، ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص ١٨١؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧٦؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص ٣٥.

(٢٤٠) أبو شامة، **تراجم**، ص١٢١؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠)، ص٣٥.

(٢٤١) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨١؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٧.

(٢٤٢) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٩؛ ؛ ابو شامة، **تراجم**، ص١٢١؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٩، ص٥٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٦١١-٦٢٠)، ص٣٥.

وثيابه من القمل شيء كثير"[٢٤٣].

إن الوضع الذي آل إليه ابن المشطوب في السجن جعل أحد أتباعه وممن كانوا في خدمته يستشفع الملك الأشرف ويناشده بإطلاق سراحه، قائلاً:

يا من بدوامِ سعـ ـدِهِ دار قلْـ ـ ـ ـك ما أنت من المـلوكِ بل أنت ملْـك
مملوكك ابن المشطوب في السجن هلْك أطلقه فإن الأمر للهِ ولـ ـ ـ ـك[٢٤٤]

لم يصغْ الملك الأشرف إلى هذين البيتين؛ فساء وضع ابن المشطوب وانتشر بين الناس خبره؛ فتألموا عليه وتحسروا على وضعه وحاله، حتى إن أحد أتباعه وصفه مشبهاً بحال سيدنا يوسف، عليه السلام، في الصبر والتأني، مؤكداً له أنه ما بعد الصبر إلاّ الفرج؛ إذ قال:

يا أحمد ما زلت عـ ـماداً للديـ ـ ـن يا أشجع من أمسَـك رمـحاً بيميـن
لا تأس إذ حصـ ـلت في سجنهـ ـم ها يوسف قد أقام في السـجن سنين
أما في رسـول الله يوسفُ أسـ ـوةٌ لمثلك محبوساً على الظـ ـلم والإفكِ
أقام جميل الصبر في السجن برهـة فآل له الصبر الجميل إلى الملـ ـك[٢٤٥].

لم يدم عماد الدين ابن المشطوب طويلاً في السجن، فقد مات[٢٤٦] في شهر ربيع الآخر عام ٦١٩هـ/ ايار١٢٢٢م[٢٤٧]، ودفن في حران، ثم نقلته ابنته إلى رأس عين خابور وأقامت على قبره قبة شاهدها ابن خلكان كما يذكر[٢٤٨].

وقد استطاع الملك الأشرف بعد الانتهاء من أمر ابن المشطوب القضاء على جميع الأمراء الذين كان يكاتبهم، ويشجعهم على نزعة العصيان، فجردهم من إقطاعاتهم وأدبهم[٢٤٩] لتنتهي بذلك حياة ابن المشطوب التي لا تكاد تخلو أعوام عمره من العصيان أو التآمر رغبة في تحقيق مطامع ملك وجاه، علماً أنّه كان يتمتع بها وقد ورثها عن آبائه وأجداده، إلاّ أن نزعة العصيان التي تولدت عنده بسبب الانقسامات والخلافات بين ملوك بني أيوب جعلته يقحم نفسه في خضم هذه الصراعات رغبة منه في انتزاع الملك والسلطة.

(٢٤٣) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨١؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦.

(٢٤٤) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨١؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦.

(٢٤٥) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص ١٨١-١٨٢؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥.

(٢٤٦) **التاريخ المنصوري**، ص٧٩؛ ابن العديم، **زبدة**، ج٢، ص ٦٥٢؛ أبو شامة، **تراجم**، ص١١٦؛ وينفرد المقريزي بذكر وفاته مسسموما في حماة؛ المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠١.

(٢٤٧) ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص ٣٨٩؛ ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨١؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦؛ اليافعي، **مرآة**، ج٤، ص٣٥.

(٢٤٨) ابن خلكان، **وفيات**، م١، ص١٨١؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٧، ص٢٢٦.

(٢٤٩) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج٨، ق٢، ص٦٠٩؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٤، ص٧٦-٧٧.

النتـائج

إن ولادة ابن المشطوب كانت في إحدى بلدان ثغر شمال الشام عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م تقديرا.

ينحدر ابن المشطوب من أسرة كردية تعود بنسبها إلى قبيلة الهكارية، التي تعرف بعراقة سيادتها بين القبائل الكردية في ديار بكر من أعالي الجزيرة الفراتية. وقد احتلت مكانة اجتماعية وعسكرية في العصر الأيوبي، فحصلت على مناصب عسكرية وإدارية، وأقطعوا الإقطاعات في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، واعتبر الأمير سيف الدين المشطوب وولده من أبرز أمراء الدولة الصلاحية.

ورث ابن المشطوب سيادة أسرته ومكانتها الاجتماعية والعسكرية التي خلفها له والده الأمير سيف الدين المشطوب عند ملوك بني أيوب، فأصبح ملك الأكراد ومن أكابر أمراء عصره، وله حرمته ومكانته، وقد اجتمع حوله لفيف من الأكراد، جعل ملوك عصره تهابه ويتقربون إليه لحاجتهم إلى عساكره الأكراد.

لم يحافظ ابن المشطوب على إرث والده ومكانته وانتمائه وولائه لملوك البيت الأيوبي، فما ورثه من مكانة اجتماعية وعسكرية وظفها في الخروج على ملوك بني أيوب، وأقحم نفسه في خلافاتهم وانقساماتهم رغبة منه في تحقيق مصالح ذاتية بتأسيس ملك خاص به يضاهي ملك الملوك الأيوبيين؛ لذلك كان متقلبا في ولائه وانتمائه، لا يعرف الإخلاص إلا للأمير الذي يعمل معه، ويكون حجم إخلاصه مؤقتا ومرتبطا بمدى الفائدة التي تعود عليه من التبعية، فكانت مصالحه الخاصة تحكمه في ولائه وتبعيته لملوك بني أيوب.

ظهرت نزعة ابن المشطوب الفردية وخروجه على ملوك بني أيوب وهو لم يتعد الثامنة عشرة من عمره، فقد أخذ ينظم تحالفات عسكرية، ويقحم نفسه في خلافات البيت الأيوبي على السلطنة، رغبة منه في الحصول على إقطاعيات جديدة من السلطان أو الملك الجديد، مستغلا إمكاناته العسكرية التي طمع بها ملوك بني أيوب للإفادة منها في بسط سيادتهم على بعض مناطق الجزيرة الفراتية.

إن حال ابن المشطوب تغير بعد وفاة عمه الأمير الجناح بن أحمد الهكاري عام٦٠٥هـ/١٢٠٩م بحكم صلته بصلاح الدين الأيوبي وخدمته له. وكان ملوك البيت الأيوبي يلاطفون ابن المشطوب ويتغاضون عن أفعاله وولائه المتأرجح إكراماً لعمه جناح الدين، ولذلك لم يعد له ذكر في المصادر حتى عصيانه على الملك الكامل في مصر.

يعد عصيان ابن المشطوب على الملك الكامل من أبرز مراحل حياته؛ لأن هذا العصيان تزامن مع غزو الحملة الصليبية الخامسة على دمياط، وقد برز هذا العصيان بعد أن علم ابن المشطوب بوفاة الملك العادل في جمادى الآخرة عام٦١٥هـ/أيلول ١٢١٨م؛ لأنه أدرك أن الوضع سائر إلى ما آل إليه بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي من اختلافات وانقسامات بين الملوك الأيوبيين على السلطة، فلم يراع في عصيانه على الملك الكامل خطر الفرنج الذي كان يحدق بالديار المصرية، ساعياً إلى تحقيق مكاسب ومغانم حكم، وإشباع رغباته ونزعاته الانفصالية على حساب المسلمين بالوصول إلى السلطة، ولذلك، فقد شكّل عصيانه خطراً واضحاً على الجبهة الداخلية لعساكر الملك

الكامل أمام الغزو الفرنجي.

أثر عصيان ابن المشطوب سلبا في قوة تحمل الملك الكامل وجلادته وصبره على مواجهة الفرنج، وأضعف نفوس العساكر المرابطة وبث فيهم روح الهزيمة، كما أضعف نفوس المسلمين من أهالي دمياط جراء تشديد الحصار عليهم من قبل الفرنج، فارتفعت الأسعار، وقطع الدمياطيون رجاءهم من المساعدة، وأطمع القبائل العربية في البلاد فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج، وجعلت الملك الكامل يفكر جديداً بترك الديار المصرية بيد الفرنج والخروج إلى اليمن، وكانت النتيجة، استيلاء الفرنج على دمياط يوم الخميس ٢٧ شعبان ٦١٦هـ/٧ تشرين ثاني ١٢١٩م.

وبانتهاء عصيان ابن المشطوب وإخراجه من مصر إلى بلاد الشام، انتظم أمر السلطان الملك الكامل، وثبت ملكه، وأصبح بيده أمر السلطنة، وتحللت عزائم من بقي من الأمراء الموافقين لابن المشطوب، وأذعنوا بالولاء والطاعة للملك الكامل كرهاً لا طوعاً.

استمرت فكرة العصيان تراود ابن المشطوب، لا بل زادت حنقاً جراء نفيه من الديار المصرية إلى بلاد الشام بطريقه غير لائقة، فأراد الانتقام، واتخذ منهجاً جديداً في عصيانه اعتمد فيه على مهاجمة بلدان ملوك بني أيوب؛ بقصد السلب والنهب وإثارة الفوضى، ولم يعتبر مما حدث لأهل دمياط وضياع المدينة .

أدرك الملك الأشرف الوضع الذي آل إليه ابن المشطوب، فأراد أن يطيب خاطره، فقربه منه وأحسن إليه ورفع من مكانته حتى أصبح سلطانه يوازي سلطان الملك الأشرف في البلاد، غير أن نزعة العصيان عند ابن المشطوب كان لا يمكنه التخلي عنها، فقد راودته نفسه مرة أخرى بالعصيان؛ من غير أن يراعي أية حرمة أو اعتبار للملك الأشرف الذي احتضنه وحقق له مبتغاه في تأسيس ملك يوازي ملك ملوك بني أيوب، بعد أن ضاقت السبل فيه وآواه وأكرمه بعد أن نفاه الملك المعظم والملك الكامل من مصر، وكانت نتيجة ذلك كله وفاته في الجب.

Imaad Iddin Ahmad Ibn Al-Mashtoob and the Effect of his Disobeying Movements on the Ayyubi Kings and Sultans

Mahmoud Mohammad Al-Ruwaidhi*

ABSTRACT

Imaad Iddiin Ibn Al-Mashtoob and his insurgency movements against the princes of Bani-Ayyoub in the Levant, Egypt and the Euphrates Basin (619-590H/1193-1222 A.C.)

This study probes into the character and personality of Imaad Iddiin, Ahmad Ibn Ali Ibn Ahmad Ibn Abi Al-Hayjaa', a descendent of a Hikkaarii Kurdish tribe. He was known as Ibn Al-Mashtoob. He inherited from his father a formidable reputation that made the Ayyubi household revere and respect him. He was considered as one of the Ayyubi's. After the death of Saladin Al-Ayyubi in the year (598 H./1193 A.C), he started to interfere in the internal divisions and conflicts within the Ayyubi household.

The king's of Bani-Ayyub used to coax him for their need of Kurdish soldiers who were under his leadership to strengthen and bolster their rule. Ibn Al-Mashtoob became aware of this need and started to use it for his own good. He became completely the opposite of his father in his allegiance. He would pledge allegiance only to the Ayyubi king he served. The benefits he reaped decides the period of his allegiance. He then lead resistance and insurgency movements against the Ayyubi's in the Levant, Egypt and the Euphrates Basin. These movements reeked havoc and spread chaos and mayhem in the Ayyubi state which paved the way for foreign invasion of Islamic land. These movements however, did not last long before they were suppressed and Ibn Al-Mashtoob was taught a lesson along with those who contemplated rebellion against the Ayyubi's.

Keywords: Disobeying Movements, Ibn Al-Mashtoob, Ayyubi Kings and Sultans.

* Dept. of History, Faculty of Social Sciences, Mu'tah University.
Received on 20/3/2009, accepted for publication on 26/5/2009.